التراكيب التحويلية في جملة الاستفهام عند محمود سامي البارودي

د. فريد محمود العمري *

* وزارة التربية والتعليم الأردنية

ملخص البحث

يتحدث البحث عن أحد الأساليب الإنشائية الأكثر دورانا على ألسنة الناس، إذ كان للمبدعين منهم طرائق معينة في استعمال هذا الأسلوب. وقد رصد البحث هذه الطرائق بالوصف، والعدّ، والتحليل اللغوي، فوجد أن الشاعر محمود سامي البارودي استعمل هذا الأسلوب متفقا في أغلبها مع ما ورد عن النحاة في كتبهم، مخالفا في القليل منها ما ندر عندهم.

وقد خلص البحث إلى أن الاستعمال هو خير حكم يمكن أن نعتمده في تقعيد القواعد العربية، خاصة إذا أردنا للغتنا أن تكون ميسورة شائعة الاستعمال والإقبال، خالية من التعقيد والتصعيب.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى قسمين:

الأول: الاستفهام مذكور الأداة: حروفا، وأسماء.

الثاني: الاستفهام محذوف الأداة.

ومناقشة القسمين بالوصف، والإحصاء، والتحليل، على وفق منهج تكاملي يربط ما بين المنهج المعياري، والمناهج الحديثة في الدراسات اللغوية؛ للوصول إلى النتائج الحقيقية وراء هذا الاستعمال.

الرموز المستعملة في البحث

م = مبتدأ.

خ = خبر.

ر = رابط.

ح = حرف.

س¯ = عنصر استفهام.

~ = عنصر نفي.

(∅) = عنصر محذوف.

ج.ف = جملة فعلية.

ج.س = جملة اسمية.

ف.ن = فعل ناقص.

ش.ج = شبه جمله.

فا = فاعل.

فع = فعل.

مفع به = مفعول به.

مفع ١، ٢ = مفعول به أول، أو ثان.

← = يشتمل على، يحتوي.

↔ = يماثل كل منهما الآخر.

〉 = عنصر محذوف في الرسم المشجر.

تقديم

أهمية الدراسة

هذه دراسة لأسلوب الاستفهام تهدف إلى معرفة الطرق التي يستعملها الأديب في التعبير عن القضايا التي يواجهها: فكرية كانت أو شعورية؛ فقد تناولته الدراسة بالبحث، والوصف والتحليل؛ للوصول إلى نتائج تبين أكثر الطرق استعمالا، ومعرفة ما أهمل منها، أو ما استجد في مجال التعبير اللغوي.

مجال تطبيق الدراسة

رأى الباحث أنه من المهم أن يكون مجال الدراسة نصا واقعيا مكتملا، بمعنى أن يكون للمادة المدروسة حيز زماني: بداية، ونهاية، ومستوى تعبيري ثبت عنده؛ بحيث يطمئن إلى أن الدراسة تأخذ منحاها الطبيعي، من دون ظهور ما يمكن قلب المادة (النص) المدروسة، وتغيير مسارها، أما أن تظهر دراسات أخرى مغايرة فهذا شأن آخر، نشجع ظهورها، وعليه يمكن التعرف إلى التطور الذي يواكب اللغة المستعملة في مراحلها المتتابعة؛ لذا اخترت الشاعر محمود سامي البارودي ليكون شعره ميدانا لتطبيق منهج الدراسة.

منهج الدراسة

تعد دراسة اللغة العربية على وفق منهج لغوي حديث إسهامة جليلة في تثبيت الدرس النحوي العربي، وتجديده؛ نظرا إلى أن الممارسة اللغوية ربما تضيف إلى القاعدة الثابتة بعدا آخر، وخير ما يمكن تمثله في الاستعمال اللغوي القارّ نص أدبي له حدّان: بداية ونهاية؛ ولأن أي نص له مستويات تعبيرية متعددة؛ فقد اخترت المستوى الاستفهامي، معتمدا على معيار -ولا أقول منهجا؛ لأن من أبرز سمات المنهج أن يكون واضحا، ومتبعا، ومتوافقا عليه في منحى دراسي شائع- هذا المعيار إحصائي وصفي تحليلي

(تكاملي)، يجمع بين بعض عناصر أكثر من منهج، بعضها عربي قديم، وبعضها مستمد مما ذكره علم اللغة الحديث، يمكن كما يظن الباحث أن يكون هذا المعيار (المنهج) قادرا على التعرُّف إلى ما يطلقه المتكلم في زمن محدد من جمل، ومدى مطابقتها لقواعد النحو، وانسجامها مع الدلالة التي يتوخاها، ومن ثم معرفة الأنواع، أو الأنماط اللغوية الأكثر دورانا على ألسنة المتكلمين، والأنماط الأقل استعمالا، أو التي هجرت، أو تلك التي استعملها الشاعر من دون أن يسبقه إليها سابق. ذلك أن منهجا واحدا قد لا يكون قادرا على الكشف عن مجمل الظواهر اللغوية التي قد يصادفها الدارس في النص المختار للدراسة. وطبيعة الموضوع اقتضت تقسيمه إلى قسمين، هما:

القسم الأول: وفيه تعريف الاستفهام، ودراسة لأدواته: حروفا وأسماء.

القسم الثاني: وفيه دراسة للاستفهام محذوف الأداة، والاستفهام غير المباشر، بلفظ السؤال، واشتقاقاته.

فإلى هناك والله من وراء القصد.

القسم الأول

أولا: معنى الاستفهام

الفهم معرفتك الشيء بالقلب، وفهمه فهماً، وفهامةً: علِمه، وفهمت الشيء: عقلته، وعرفته، وأفهمته الأمر، وفهمتُّه إيَّاه: جعلته يفهمه. واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته، وفهَّمته تفهيماً[1].

ذكر ابن يعيش أن: "الاستفهام والاستخبار والاستعلام بمعنى واحد، وهذه السين تفيد الطلب"[2]. غير أن ابن فارس فرَّق بين هذه المصطلحات، ووضع لها معانيَ مختلفةً، فقال: "إن الاستخبار يسبق الاستفهام، وذلك لأنك تستخبر فتجاب بشيء فربما فهمته، وربما لم تفهمه. فإذا سألت ثانيةً فأنت مُسْتَفْهِمٌ، تقول: أفْهِمْنِي ما قلته[3].

ومتفحص هذه المصطلحات بإمكانه أن يضع لها إطاراً دلالياً إذا أراد أن يستنبط علاقة تربطها بعضها ببعض، فحروف الزيادة فيها لها معنىً واحدٌ، وهو إفادة الطلب، فالفهم، والإخبار، والعلم، إذا طلبت بوساطة، فهذا يعني أن السائل جاهل -حتى ساعته- بما يطلبه، وأنه يريد من محدثه أن يفهمه، أو يخبره، أو يعلمه بما يجهل. وهذا هو المراد بالاستفهام، إذ الأصل فيه طلب الفهم لشيء لم يتقدم لك علم به بأداة من أدواته[4]. أو هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلاً مما سأله عنه[5].

بهذا يختلف طلب الاستفهام عن غيره من أنواع الطلب الأخرى: كالأمر، والنهي، والعرض، والتحضيض، وذلك: "أنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج، ليحصل في ذهنك نقشٌ له مطابقٌ، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابقٌ، فنقش الذهن في الأول تابع، وفي الثاني متبوع"[6].

لم يفرد النحاة عند دراسة الاستفهام باباً خصُّوه به؛ لدراسة مسائله المتعلقة به، وأدواته، ومكوناته، كما فعلوا في موضوعات النحو الأخرى، كالفعل والفاعل، والمبتدأ،

والخبر وإنما أشاروا إليه عند دراسة حروفه، وأدواته، ضمن بقية الأدوات المستعملة في اللغة.

وقد خلص النحاة إلى أن الأدوات المستعملة في الاستفهام اللغوي عند العرب مختلفة الأغراض، والوظائف اللغوية التي تحددها طبيعة الاستعمال، والسياقات المستعملة فيها تلك الأدوات التي حصرها النحاة بالآتي: الهمزة، و(هل)، و(ما)، و(مَن)، و(أي)، و(كم)، و(كيف)، و(أين)، و(متى)، و(أيَّان)، و(أنَّى).

والاستفهام من الأساليب الإنشائية التي تفيد الطلب على الغالب، ولكن في كثير من الأحيان له وظيفة تنبيهية، إفهامية، انفعالية، ويتحقق بأدوات نحوية تفيد معانيَ أخرى، كالنفي، والإثبات، والتقرير، والإنكار، والسبب، والحال، والظرف، ...، وأدوات الاستفهام تفيد الدلالة على وجهة السائل، وبيان مدى اهتمامه. كما أن لأُسلوب الاستفهام غير طريق يمكن الاستفهام بها: منها ما يكون بذكر واحدة من أدوات الاستفهام، ومنها ما يكون بغير أداة، فيلمح السؤال من نغمة الصوت، ونَبْرِه، إذا كان منطوقا، وعلامة الاستفهام إن كان مكتوبا، ومنها ما يكون بذكر لفظ السؤال (سأل)، أو أحد مشتقاته.

وقد يحصل أن يكثر المتكلم من استعمال أداة بعينها، ويقل في أخرى، مكثرا في واحد من معانيها، مقلاً في غيره، وهو ما يحدده السياق، والموقع الذي تكون فيه الأداة.

ثانيا: الاستفهام عند الشاعر (محمود سامي البارودي)

توصل الشاعر (محمود سامي البارودي)، إلى أسلوب الاستفهام بطرق مختلفة، فمرة باستعمال أدواته، ومرة بحذفها، وثالثة بلفظ السؤال، أو إحدى صيغه، كما هو موضح في الجدول:

الطريقة	ذكر الأداة	حذف الأداة	لفظ السؤال	المجموع
التكرار	٥٤١	٠٠٩	٠١٩	٥٦٩

ثالثا: الاستفهام مذكور الأداة

استعمل الشاعر هذا الأسلوب في خمسمائة وواحد وأربعين، (٥٤١)، موضعاً، مستعملاً فيها تسع أدوات استفهامية، وبنسب متفاوتة؛ ليعطي كلٌّ منها معنى الاستفهام

المخصص لها أولاً، ثم تكون موظفة لدلالات، ومعانٍ أخرى، تندرج تحتها هذه الأداة، أو تلك بما يتناسب مع قدرتها الدلالية، وقصد الشاعر، والأدوات التي استعملها الشاعر هي المدرجة في الجدول:

أدوات الاستفهام	الهمزة	هل	ما	من	أي	كيف	أين	متى	أنَّى	مجموع التكرار
التكرار	٨٢	٩٤	٨٥	٣٤	٥٣	١١٦	٤١	٢٦	١٠	٥٤١

أ. حروف الاستفهام، وهي: الهمزة، و(هل).

١: الهمزة

هي " أُمُّ باب الاستفهام، وأصلُ أدواته" [٧]، ولها صدر الكلام، وقد أعطيت هذه الخاصية لها لا لغيرها؛ فلا يمكن تأخيرها، وللهمزة خصائص تجعلها متفردة بين بقية أدوات الاستفهام، ويجوز حذفها سواء تقدمت على (أمْ) أم لم تتقدمها؛ فحذفها جائز يدل عليه السياق، وطبيعة الموقف الكلامي، ونغمة الصوت التي يتم نبرها بصيغة السؤال، وهو ما سيناقشه البحث في موضعه.

كذلك فإن (الهمزة) ترد لطلب التصور، نحو: "أزيدٌ قائمٌ أم عمرو؟"، ولطلب التصديق، نحو: "أزيدٌ قائم؟"، في حين تكون بقية الأدوات مخصصة إمَّا لطلب التصور فقط، مثل: مَنْ جاءك؟ وما صَنَعْتَ؟ أو طلب التصديق، مثل: هل قام زيد؟.

ثم إنها تدخل على الإثبات كما تقدم، وعلى النفي[٨]، نحو: ﴿**أَلَمْ نَشْرَح لَكَ صَدْرَك؟**﴾[٩].

ومن خصائصها أيضاً أنها تامَّة التصدير؛ فلا تتأخر على (أمْ) التي للإضراب كغيرها، ولا على حروف العطف، فلا نقول: أقام زيد أم أقعد؟ كما نقول: أم هل قعد؟ وكما قال تعالى: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض**﴾[١٠]، وقوله: ﴿**وكيف تكفرون بالله**﴾[١١]، و﴿**فأين تذهبون**﴾[١٢]، بتقديم حرف العطف على أداة الاستفهام بخلاف الهمزة[١٣].

وذكر أنها تخرج من باب الاستفهام، "فليس صحيحاً أنها تمتاز عن بقية الأدوات بأنها

لا تخرج من باب الاستفهام"[١٤]. إن خروجها إلى معان أخرى واضح وجليٌّ، ففضلا عن قوتها الإنجازية الحرفية، فإنها تستلزم مع ذلك قوة دلالية تواكب الموقف الحواري، مثل: التسوية، والتوبيخ، والإنكار، والتقرير[١٥].

أنماط التراكيب بـ(الهمزة)

وقد توزعت الهمزة على (اثنين وثمانين) موضعاً، متخذة الأنماط الآتية:

← الهمزة+ المستفهم عنه { = (ج.س) }

لَيْـت شِعْـــــرِي أَهُمـــودٌ مـــا أَرَاه أَمْ قُنُـــــوت؟[١٦]

← الهمزة+ المستفهم عنه { = (ج.ف) }

أَتَرْغَـبُ في السَّـلامَةِ و هْيَ داء وتَجْمَعُ للبَقَـاءِ وأَنْتَ فانِي؟[١٧]

أَظَنَنْتَ لَوْ عَتَـــهُ فُكاهَـــةَ مـازِحٍ فَطَفِقْتَ تَعْذِلُهُ عـــلى تَهْيَامِه[١٨]

← الهمزة + المستفهم عنه { = (~ ف.ن) }

أَلَيْسَ في الحقِّ أَنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُمْ أَمْناً إذا خافَ أَنْ يَنْتابَهُ العَطَبُ؟[١٩]

← الهمزة + المستفهم عنه { = (تُرى+ ج.س) }

أَتُرى الحَمامُ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي ونَدى الغَمامَةِ يَسْتَهِلُّ لِمَدْمَعِي؟[٢٠]

ولم تتوقف عند معنى الاستفهام حسب، بل تعدت ذلك إلى المعاني الأخرى، ومنها: الإنكار، والتعجب، والتقرير، والتوبيخ، والتهكم والسخرية، والتنبيه، والأمر، والاستبطاء، والنفي، واللوم والعتاب، والتزيين والتشويق، والتحسر والتأسف، والتحقيق، والتمني.

ومما يلحظه الباحث أن الشاعر أكثر في معنى، بينما نجده أقلَّ في آخر، ولعل هذا يدل على نَفَسِ الشاعر في قصائد ديوانه المرتبة حسب الحروف الهجائية، فبعض القصائد مثلا تحتمل نبرة الصوت العالي، فيمكن أن نلاحظ عند ذلك نبرة الاستنكار مثلا فيها، بينما لا نجد ذلك التنغيم الهابط الذي يتحدث عن العاطفة الوجدانية، أو الإنسانية، حيث نلحظه في قصائد أخرى لها قافية مغايرة، أو مختلفة، ومن هنا يجيء الاختلاف في كثرة

تكرار هذا المعنى أو ذاك، وعدم تكرار المعنى الآخر، أو قلة تكراره على أقل تقدير، وهذا ما يحدده السياق، ونظرة المحلل.

تحليل التراكيب

اتفق النحاة على أن للاستفهام صدر الكلام، وأن موضوع السؤال يأتي لاحقا له، وغالبا لا يكون السؤال محتاجا إلى إجابة؛ لا سيما في الشعر، إذ يكون الاستفهام وسيلة لنقل شحنة من عواطف المتكلم إلى سامعه، يعبر له فيها عن معنىً، أو جملة من المعاني لا تتحقق عن طريق الإخبار المحض -الجمل: الاسمية، والفعلية- فيصبح الاستفهام في هذه الحالة كالمحرك يحول الطاقة الكامنة -القدرة اللغوية- إلى حركة وفعل -معنى- يتجاوب معه المستمع بعد أن يحسه، ويدركه بصورته الجديدة.

فجاءت الجملة الاستفهامية في قوله:

لَيْـت شِعْـــــري أَهُمـــودٌ مـــا أَرَاه أَمْ قُنُـــوت؟

محولة عن الأصل التوليدي الإخباري للجملتين "هو همود"، و"هو قنوت" الدالتين عما يراه

← مبتدأ+ خبر = (م+ خ)، وهو في هذه الحالة إخبار محايد لا يفي بالغرض الشعري المقصود التعبير عنه، وهو إضفاء معنى الدهشة والاستغراب، وربما يصل الأمر إلى التهكم والسخرية إذا ما نظرنا إلى السياق -الكلام السابق واللاحق-؛ حيث إن الحال ترقى إلى التناقض بل التضاد بين ما هو عليه الآن، وما كان، أو ما كان ينبغي أن يكون عليه، يقول:

كُنْتُ مَطْبُوعاً على النُّطْقِ فما هذا السُّكوت؟

أَيْنَ أَمْلاكٌ لَهُم، في كُلِّ أُفْقٍ مَلَكُوت؟[٢١]

فإذا وضعنا البيت الأول متوسطا هذين البيتين، أدركنا أن الشاعر لجأ إلى استعمال الاستفهام بـ(الهمزة) كعنصر تحويل؛ لإفادة أكثر من معنى مما تستلزمه (الهمزة) منها: التعجب، والاستغراب، والتهكم على ما آل إليه الحال، فصارت الجملة بعد إجراء عدد من التحويلات اللغوية التي تقتضيها طبيعة اللغة في التعبير عن هذه المعاني، مثل التقديم، والتأخير:

← همود هو= (خ+ م)، ثم بزيادة الجملة الفعلية (ج.ف) ← (أراه)

← ف + فا(Ø)+ مفع به (الضمير)، اقتضى استبدال (خ) بما يناظره (ما)، فصارت الجملة:

← خ+ م+ ج.ف (موصولية) = همود ما أراه، جملة تحويلية إخبارية تفيد الإخبار المحايد، وبزيادة (الهمزة) عنصر تحويل آخر، صارت الجملة:

← أهمود ما أراه [= عنصر استفهام (س¯)+ خ+ م+ ج.ف (ف+ فا(؟)+ مفع به)]

جملة تحويلية استفهامية تفيد التعجب والتهكم، وبزيادة المعادل الاستفهامي (أم)، وما يتطلبه هنا جملة اسمية (ج.س) ← (قنوت) (= م (Ø)+ خ) حُذِف فيه (م) المبتدأ -أفاد المقارنة بين حالين بينهما والحال القائمة بعض المقاربة؛ ليضفي على المعنى لونا من التخيير الذي لا ينسجم مع أحدهما أو كليهما معا، فيستغرق السامع في إدراك حقيقة الحال الثالثة غير المقبولة من المتكلم.

فصارت الجملة في شكلها السطحي النهائي:

← [س¯ +(خ+ م+ ج.ف (= ف+ فا(Ø)+ مفع به+ أَمْ + ج.س (= م(Ø)+ خ)]

جملة استفهامية تحويلية جرى فيها التحويل بالتقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، والتعويض؛ لإفادة معنى الاستفهام الإنكاري.

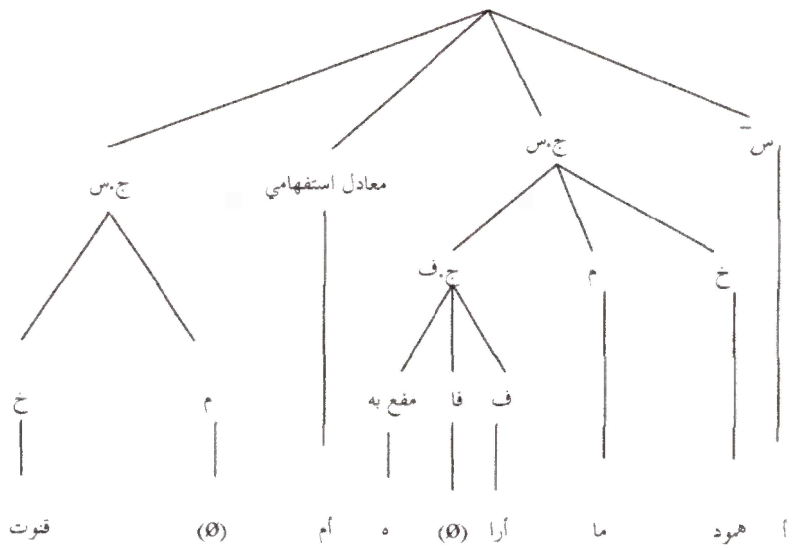

وفي التركيب:

أَظَنَنْتَ لَوْعَتَـهُ فُكاهَـةَ مـازِحٍ فَطَفِقْـتَ تَعْذِلُهُ عـلى تَهْيَـامِه

جملة تحويلية أصلها التوليدي "لوعته فكاهة" ← (م+خ) تفيد الإخبار المحايد، والشاعر لا يقصد هذا المعنى، فلجأ إلى استعمال الفعل (ظن)، وما يتطلبه هذا الفعل من تعديل في بنية الجملة من حيث تركيب عناصرها، وترتيبها، فصارت:

ج ← ظننت لوْعَتَه فكاهةً ← [فع+ فا+ مفع به١ (مضاف+ مضاف إليه)+ مفع به٢]

ولأن الشاعر لا يريد إخبار المخاطب بما يقوم هو بفعله من الظن، وإنما أراد أن يعبر عن مشاعر متعلقة به هو حيال هذا الفعل، وهي على كل مشاعر -كما يظن الباحث- اللوم والعتاب، أضاف قيدا آخر وهو تحديد نوع الفكاهة المرادة؛ لتكون موغلة أكثر في التفكه، ثم استخدم أسلوبا آخر متخذا همزة الاستفهام عنصرا من عناصر التحويل؛ لإفادة هذا المعنى الدقيق، فصارت الجملة:

[س¯ (فع+ فا (ضمير)+ مفع به١(مضاف+ مضاف إليه(ضمير))+ مفع به٢(مضاف+ مضاف إليه)]

جملة تحويلية جرى التحويل فيها بالزيادة؛ لإفادة معنى الاستفهام بما يصحبه من اللوم والعتاب، ذلك أن السؤال لم يكن يراد به الإجابة عما يجهله القائل، وإنما كان المراد الإفصاح عن مشاعر اللوم والعتاب للفعل الذي تأكد وقوعه، حيث يبين الشطر الثاني من البيت ذلك؛ فالرابط السببي (الفاء) الذي يربط الجملة اللاحقة بما قبلها، يوضح أن ظن المخاطب انبنى عليه فعل آخر هو العذل (تعذله) مما استلزم الشاعر أن يفصح عن مشاعر اللوم والعتاب، وكأنما هو المقصود بهذا الظن والعذل.

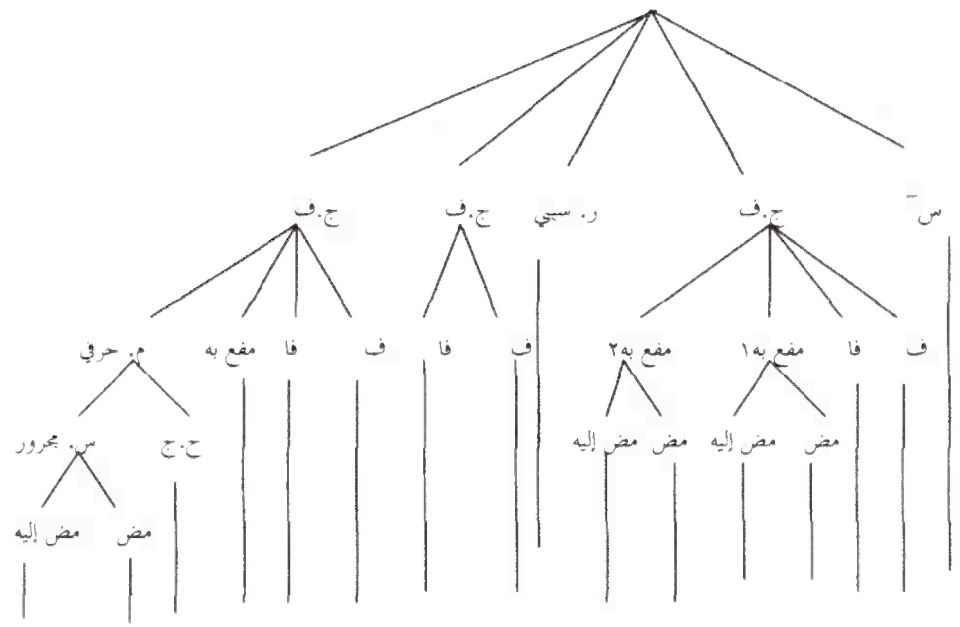

أ ظننت لوعته فكاهة مازح فطفقت تعذله (ه) على هيامه

والتركيب

أَتَرْغَبُ في السَّلامَةِ و هْيَ داءٌ وتَجْمَعُ للبَقَاءِ وأَنْتَ فانِي؟[٢٢]

جملة تحويلية أصلها التوليدي "يرغب فلان في السلامة" ← (ف+ فا+ ش.ج) تفيد الإخبار المحايد، والشاعر لا يقصد هذا المعنى، فلجأ إلى خاصية الزيادة للإفصاح عما يريده من معانٍ، فَبَيَّنَ حالَ هذه السلامة بقوله: (وهي داءٌ)

← ج.س (= (ر) عنصر ربط (حالي)+ م+ خ)

لإفادة معنى قبح هذا النوع من السلامة؛ للتنفير منه، والابتعاد عنها. ثم بإضافة عنصر الاستفهام (الهمزة) كعنصر تحويل آخر يحمل معنى جديدا يريد الشاعر الإفصاح عنه، وهو (التوبيخ)؛ لزيادة التنفير، وندرك هذا المعنى إذا نظرنا إلى السياق الذي ورد فيه التركيب، إذ يقول:

فَيا مَنْ ظَنَّ بالأيَّامِ خَيْراً رُوَيْدَكَ فَهْيَ أَقْرَبُ لِلحِرانِ

فإذا كان المخاطب يرغب بالسلامة بعد أن ظن بالأيام خيرا، وهو مصرٌّ على ذلك فإن

التوبيخ يكون أقلَّ ما يستحقه، أما إذا كانت الرغبة متحصلة من النظر إلى الأيام من دون الإصرار عليها، فإن النصح، أو الإرشاد والتوجيه تكون ملاصقة، أو مصاحبة لمعنى الاستفهام. فصارت الجملة بتحويلاتها:

← س¯ + ج.ف = [(ف+ فا+ ش.ج) + ج.ف (=(ر) حالي+ م+ خ)]

جملة تحويلية كان التحويل فيها بالزيادة، والحذف؛ لإفادة الاستفهام التوبيخي في قراءة، والنصح والإرشاد في قراءة ثانية.

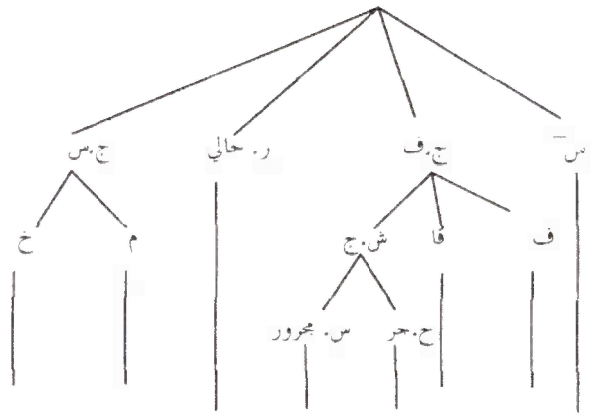

أ ترغـــب (ø) في السلامة و هي داء

وفي التركيب

أَتُرى الحَمامُ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي ونَدى الغَمـامَةِ يَسْتَهِلُّ لِمَدْمَعِـي

أصلها التوليدي مكوَّن من (الحمام ينوح)، جملة اسمية ← ج.س [= م+ (خ) (=ج.ف)]، أو (ينوح الحمام) ← ج.ف (= ف+ فا) تفيد الإخبار المحايد الذي لا ينهض بالإفصاح عن مشاعر المتكلم، فلجأ الشاعر إلى عنصر توصيلي، وهو الفعل -تُرى- وما يحمله من ظن وتشكك، يتَّكِئ عليه لإخراج المعنى المتصوَّر في ذهنه، مقَدِّما إيَّاه على بؤرة الحديث والجملة الأساس، مجريا تعديلا على البنية العميقة في الاحتمال الثاني الذي يفترض أن الجملة فعلية، حيث تقدم الفاعل على فعله، وزيادة شبه الجملة (معي) مفيدة حاجته إلى مشاركة آخرين في ما يعانيه من تباريح الحب ومعاناته، ثم زيادة شبه الجملة (من طرب)؛ لإفادة تخصيص نوع المشاركة المقصودة ، متقدمة على سابقتها المتعلقة

بفعل النوح، ثم زيادة عنصر الاستفهام (الهمزة) الذي يحمل معنى التعجب من هذا النوح الذي يصدر من طرب؛ فالعلاقة هنا علاقة ضدية، أو تناقضية ما بين النوح والطرب، ولم يكن بمقدور الشاعر الإفصاح عنها بأسلوب خبري حتى لو استعان بعناصر تحويلية أخرى، فهو متشكك غير قادر على الحكم النهائي حول هذا الأمر، وكان أفضل أسلوب يمكّنه من الإفصاح عن مشاعر التعجب الذي يرافقه التهكم والسخرية إلى حد ما، هو الإفادة من عنصر الاستفهام، فصارت الجملة:

← س¯+ عنصر توصيلي+ ج.س (=م +(خ) (=ف+فا))+ ش.ج (=حرف جر +اسم مجرور)+ ش.ج (=حرف جر+ ضمير مجرور).

أو:

← س¯+ عنصر توصيلي+ ج.ف (=ف+فا)+ ش.ج (=حرف جر+اسم مجرور)+ ش.ج (=حرف جر+ ضمير مجرور).

جملة تحويلية استفهامية جرى التحويل فيها بالترتيب والزيادة؛ لإفادة الاستفهام التعجبي، والتهكمي.

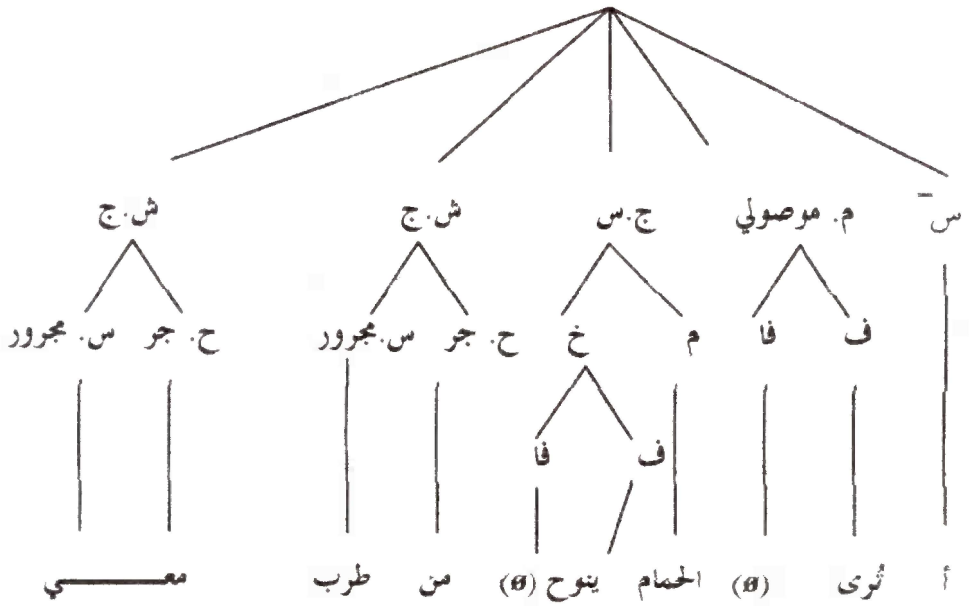

ومما اختصت به الهمزة من بين أدوات الاستفهام أيضا هو جواز دخولها على النفي[٢٣]، فالجملة المنفية يمكننا الاستفهام عنها باستخدام أداة الاستفهام (الهمزة) فقط، من دون أدوات الاستفهام الأخرى.

وقد استخدمها البارودي في السؤال عن المنفي، كما يتضح في الجدول الآتي في[٢٤] أربعة وثلاثين موضعا، حيث دخلت على أربع من أدوات النفي، هي: لم، وما، وليس، ولا.

أداة النفي	لم	ما	ليس	لا	مجموع التكرار
التكرار	١٠	١١	٩	٤	٣٤

ففي التركيب:

أَلَيْسَ في الحقِّ أنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُم أَمْناً إذا خــافَ أنْ يَنْتابَهُ العَطَبُ؟

جملة تحويلية أصلها التوليدي: (يلقى النزيل أمناً) ← ج.ف (= ف+ فا+ مفع به)، تفيد الإخبار المحايد، وبزيادة القيد شبه الجملة ← (بكم) [= حرف جر+ اسم مجرور (ضمير)]، وتقديمه على (مفع به)؛ لتكثيف قيمة المخاطبين، والاهتمام بهم، صارت الجملة:

← ج.ف [= ف+ فا+ ش.ج+ مفع به]. تحويلية تفيد أن أمن النزيل متعلق بكونه معهم. ثم بعد ذلك أضاف قيدا آخر (شبه الجملة) في الحق (= حرف جر+ اسم مجرور)، وتقديمه على بؤرة الجملة نافيا جُلَّ كلامه بإدخال عنصر النفي= ليس ← فعل ناقص، لا بقصد النفي، وإنما ليتكئ عليه في الإفصاح عما في نفسه، فصارت الجملة:

← ليس في الحق أن يلقى النزيل بكم أمنا

ثم بزيادة عنصر الاستفهام (الهمزة) في صدر الجملة المنفية ذات الخبر المؤكد في إحدى حالتيه، أعطت سياقيا التقرير بأن الشاعر يؤكد، ويقر بأن الأمن يتحقق للنزيل إذا حلَّ بهم، وقوله هذا يدخل في باب إحقاق الحق، فضلا عما يرافقه من التماس ممن يخاطبهم؛ ليكون له بعض المساحة عندهم إذا ألمت به المتاعب، فصارت الجملة:

← س¯ ~ (ف.ن+ خ(ش.ج) مقدم+ اسمه مؤخر (ر (مصدري)+ ج.ف= ف+ فا+ ش.ج (حرف جر+ اسم مجرور (ضمير) + مفع به).

جملة تحويلية كان التحويل فيها بالترتيب والزيادة؛ لإفادة معنى التقرير والالتماس.

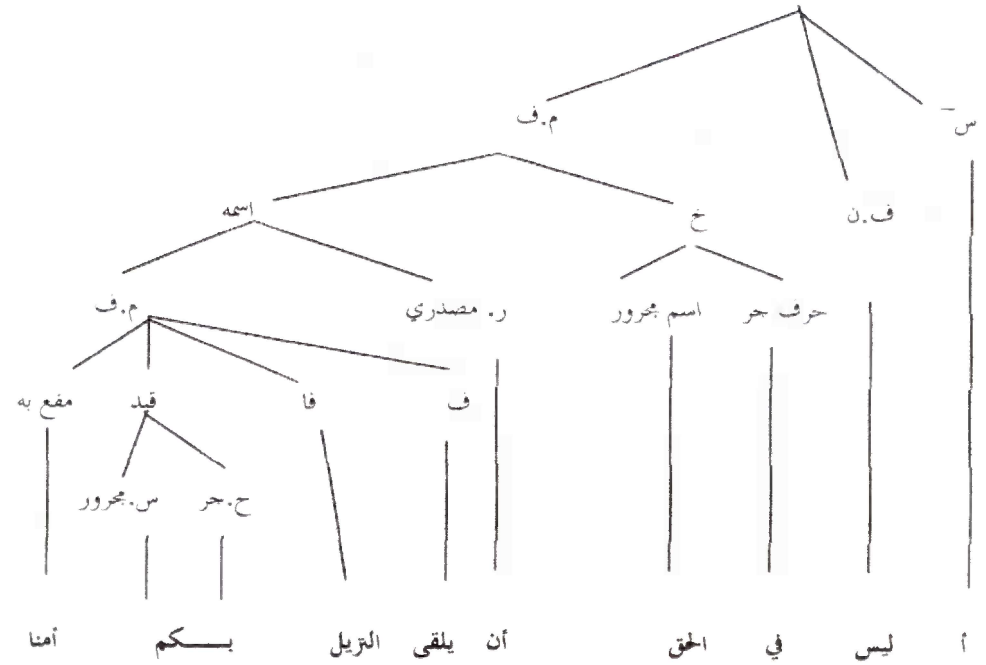

٢: هل

الحرف الثاني من حروف الاستفهام هو: (هل)، ولا يسأل به إلا عن مضمون الجملة المثبتة، ويقصد به طلب التصديق الإيجابي، يدخل على الجملة الاسمية والفعلية، ولا يجوز الاستفهام به عن مفرد، أي لا يليه الاسم في جملة فعلية فيمتنع نحو: هل زيدا ضربت؟ لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة [٢٤]. ويمتنع كذلك قولهم: هل زيد قائم أم عمرو؟؛ لأنه تصور، وطلب تعيين لا تصديق، وذكر المعادل (أم) بعدها يؤدي إلى التناقض؛ لأن الاستفهام بـ(هل) يقتضي عدم العلم، وذكر المعادل يدل على العلم بالحكم، فيجتمع في الجملة الواحدة جهل بالحكم، وعلم به في آن واحد، وهذا لا يكون، وقد أجازه الكسائي[٢٥]. مثلما يمتنع: هل لم يقم زيد؟؛ لأنه لا يجوز الاستفهام بها عن النسبة، أو ما يسميه ابن هشام التصديق السلبي[٢٦].

فالدلالة الحرفية الأصلية لـ(هل) هي الاستفهام، أما الدلالة المستلزمة التي ترافقها فقد تختلف من تركيب إلى آخر، على حسب السياق، وعلى حسب دخولها على الجملة؛ ذلك أن (هل) تدخل على الجملة الاسمية مثلما تدخل على الجملة الفعلية في أصلها التوليدي، فتحولهما إلى جملة تحويلية ناقلة المعنى الإخباري المحض إلى معنى جديد هو طلب العلم،

أو الاستفسار عما يجهل السامع؛ لإزالة الإبهام، وقد يرافق ذلك معنىً آخرُ خفيٌّ، يراد للسامع أن يتبينه من دون أن يكون مضطرا لإجابة السائل إجابة محددة.

ذهب البلاغيون إلى أن (هل) قسمان: بسيطة، ومركبة، فقال الخطيب القزويني فيها: "وهي قسمان: (بسيطة): وهي التي يطلب بها وجود الشيء، كقولنا: (هل الحركة موجودة؟). و(مركبة): وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء، كقولنا: (هل الحركة دائمة؟)"[٢٧].

من الملاحظ أن البساطة أو التركب إنما تتأتى من المسؤول عنه، وليس من (هل). فالسؤال في البسيطة عن الشيء موجودا أم لا. في حين يكون السؤال في المركبة عن وجود الشيء مرتبطا بشيء آخر، (الشيء ودوام الحركة فيه)، وذكر هذا (السبكي) بقوله: "البساطة والتركب ليسا في (هل) بل في متعلقها"[٢٨].

وقد تكرر ذكر (هل) في (٩٤) أربعة وتسعين موضعا متخذة الأنماط الآتية:

أنماط التراكيب بـ(هل)

← هل+ المستفهم عنه {= (ج.س)}

بناظِرِكَ الفَتَّـــانِ آمَنْـتُ بالسِّـحْرِ وهَل بَعْدَ إيمانِ الصَّبابَةِ من كُفْرِ؟[٢٩]

يا غاضبين علينـا! هـل إلـى عِـدَةٍ بالوَصْـلِ يومٌ أُنـاغي فيـه إقْبالي[٣٠]

← هل+ المستفهم عنه { = (ج.ف)}

فهل تَرُدُّ اللَّيـالي بَعْضَ مـا سَلَبَـتْ أمْ هل تَعُودُ إلى أوْطانِها الظُّعُنُ[٣١]

مبينة -كما يرى الباحث- المعاني الآتية: النفي، والتمني، والحزن، والنصح والإرشاد، والاستنكار، والتوكيد.

تحليل التراكيب

سأختار عددا من التراكيب لتحليلها؛ إذ إن تحليل جميع التراكيب أمر لا مسوغ له؛ فكثير من التراكيب يتشابه من حيث التقديم والتأخير، والحذف والذكر، واستعمال مفردات استفهامية متشابهة، مثل الفعل، أو شبه الجملة، والدلالة المتوخاة من الاستفهام،

وغيرها؛ لذا سوف أحلل التراكيب حيثما وجدت فيها تجديدا وقيمة لغوية أو دلالية.

جاء في التركيب:

بنـاظِرِكَ الفَتَّـانِ آمَنْـتُ بالسِّحْــرِ وهَل بَعْدَ إيمانِ الصَّبابَةِ من كُفْرِ؟[٣٢]

جملة تحويلية بنيتها العميقة (كفر بعد إيمان)، جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبره: شبه الجملة ← (م)+ (خ= ش.ج)، تفيد الإخبار المحايد، وهو ما لا يقصده الشاعر؛ لأنه يعرف حقيقة الخبر ويتوقع سماع جواب مماثل لما وقر في ذهنه على المستوى الرمزي بطبيعة الحال، وكما يدلنا السياق إلى ذلك المعنى.

فلجأ الشاعر إلى إعادة ترتيب الجملة بتقديم (خ) (=ش.ج) وتأخير (م)؛ لأنه نكرة لدواع نحوية صرفة، ثم بزيادة (م.س) مركب اسمي إضافي (الصبابة) لتحديد نوع الإيمان الذي يتحدث عنه، وكذلك زيادة حرف الجر (من) الذي يعطي معنى القِلَّة (التبعيض) ليدلنا بصورة أكثر تكثيفا على وجود أقل نسبة ممكنة من الكفر.

ثم لجأ إلى (س¯) (=هل) الذي يفيد النفي معطيا المعنى بعدا دلاليا جديدا، وهو نفي ما يمكن أن يتوقعه السامع بصورة تامة، حيث لا يمكن أن يكون هناك أقل قدر من الكفر بعد أن يكون الإنسان قد آمن إيمان (الصبابة) الشوق المطلق، وكذا هو فقد آمن بسحر محبوبِهِ فتَّانِ الناظِرَيْن، بحيث يتأكد المحبوب أن لا رجعة مطلقا عن حبه؛ ذلك أن وجود (مِن) في حيِّز (هل) من دون غيرها من أدوات الاستفهام، تعطي معنى استغراق نفي الجنس المتحَدَّث عنه[٣٣]، والمقصود هنا النفي لكل جنس الكفر. فصارت الجملة:

← س+ خ(ش.ج) = ظرف مضاف+ م.س (مضاف إليه)+ م.س (قيد مضاف إليه)+ م= م.س (حرف جر زائد + اسم مجرور)

جملة تحويلية تفيد الاستفهام التصديقي مستلزما معنى النفي، فالشاعر يريد أن ينفي تحوله عن الإيمان بسحر محبوبِهِ فتَّان الناظِرَيْن، مؤكدا ذلك عن طريق نفي حصول أقل قدر من الكفر عند من آمن الإيمان المطلق.

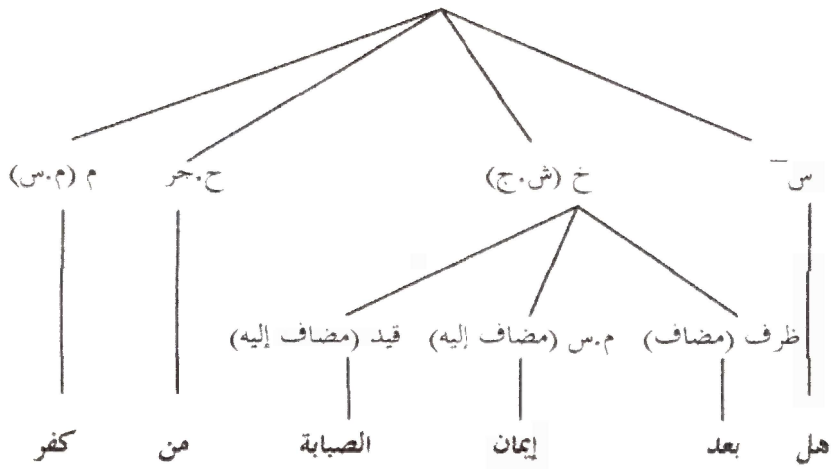

وفي التركيب

فهل تَرُدُّ اللَّيـالي بَعْضَ ما سَلَبَـتْ أمْ هل تَعُودُ إلى أوْطانِها الظُّعُنُ؟[٣٤]

جملة تحويلية بنيتها العميقة (ترد الليالي شيئاً) ← ج.ف (= ف+ فا+ مفع به)، تفيد الإخبار المحايد، وهو غير ما يقصده الشاعر، وما لا يريد التعبير عنه، فلجأ إلى إجراء تحويلات محددة تتناسب والمعنى الذي يريد الإفصاح عنه، فحذف المفعول به المخصص، واستعاض عنه بما يشمله، ويشير إليه من غير تحديد، فهو يريد استرداد ما يمكن استرداده مما سلب منه، وبزيادة عنصر الاستفهام (هل) التي تفيد التصديق والدلالة التي يتوخاها الشاعر، وهي التمني، حيث يتمنى لو أن الليالي ترد عليه بعض ما سلبته، فصارت الجملة:

← س¯+ ج.ف (= فع+ فا+ م.س (مفع به) (= مضاف +مضاف إليه))+ ج.ف (موصولية) (= ف+ علامة تأنيث+ فا (Ø) +مفع (Ø))

جملة تحويلية تفيد الاستفهام التصديقي مستلزما معنى التمني فالشاعر لا يريد أن يعرف أن الليالي ترد بعض ما سلبت أم لا، وإنما يتمنى لو يحصل ذلك؛ فتعيد له بعض ما سلبته.

واستعمال (أم) بعد هذا التركيب متصدرا تركيبا استفهاميا آخر مبدوءا بـ(هل)، ينسجم مع ما قاله النحاة قديما، فقد أجازوا ذلك (استعمال أم) على شرط أن يتلوَ المعادلَ الاستفهاميَّ (أم) حرفُ الاستفهام (هل).

وقد استخدم الشاعر هذا الأسلوب فيما يعد خروجا عند بعضهم عن أقوال النحاة عندما قال:

لم أدر: هل نَبَغَت في الأرض نابغةٌ أم هذه شيمةُ الدنيا من القِدَم؟[٣٥]

فجملة (هل نبغت في الأرض نابغة) جملة تحويلية أصلها العميق (نبغت نابغة)، جملة فعلية ← ج.ف (= ف+ علامة تأنيث+ فا).

وجملة (هذه شيمة الدنيا) ← ج.س (= م+ خ)

تفيدان الإخبار المحايد، وقد أجرى الشاعر عدداً من التحويلات في بنية الجملة، فقام أولاً بإضافة (في الأرض) ← (ش.ج)، و (من القِدَم) ← (ش.ج)، ثم أعاد ترتيب عناصر الجملة حيث قَدَّم (ش.ج) الأولى على (فا)؛ للأهمية أي ظهور الخير ممن يتحدث عنهم على مستوى البشر جميعا في كامل الكرة الأرضية، وعندما أراد أن يفصح عن حقيقة مشاعره منهم في مثل هذا الموقف كان لابد من استعمال أسلوب الاستفهام بـ(هل) فهو غير متأكد من حقيقة من يتكلم عنهم، وهو لا يريد الإجابة بنعم أو لا؛ لأن في ذلك احتمالا آخر يمكن أن تظهره الإجابة بلا؛ لهذا يخرج الشاعر عن الصيغة المتعارف عليها في الاستفهام بـ(هل)، وهو التصديق إلى المعنى الآخر المستفاد من الاستفهام بالهمزة (التصور) وهذا هو الظاهر لنا بادئ بدء، فصارت الجملة:

هل نبغت في الأرض نابغة أم هذه شيمة الدنيا من القِدَم؟

← س¯+ ج.ف (= ف+ ش.ج)+ ر (أم)+ ج.س (= م+خ (= مضاف+ مضاف إليه))+ ش.ج

جملة تحويلية، جرى فيها التحويل بالزيادة، والترتيب؛ لإفادة معنى التخيير مستلزما دلالة الاستغراب، وتوكيد كلا الخيارين.

والجملة من حيث دلالتها الشكلية – بالنظر إلى استعمال (هل) والمعادل (أم) في تركيبها– تعطي بعدا آخر من الدلالة، فالاستفهام التصوري غير مقصود، وأنَّ استعمال (أم) مقصود؛ فهي رابط معنوي، تعطي معنى حرف العطف، يستوي في مكانه وضع (الواو)، أو (الفاء)، وإنما حال الوزن الشعري دون وضع أحدهما، إذ يلحظ الباحث أن الشاعر قد استعمل (أو) في بعض المواضع المشابهة، كقوله:

هذي "الجزيرةُ" فَانْظُرْ هل ترى أحدا يَنْأى به الخَوْفُ أو يَدنُو به الطَّمَعُ[٣٦]

فاستفهام التصديق ربما يقتصر على ما قبل الربط، فالرابط (أم) وما بعده (الجملة الاسمية) خارجة عن الاستفهام، وتشكل جملة ابتدائية جديدة، وعلاقتها بالاستفهام أن الجواب مهما كان بـ(نعم)، أو بـ(لا)؛ فإن قناعة السائل راسخة بأن (هذه شيمة الدنيا من القِدَم) حق، فإذا كان الجواب بـ(نعم) فهو ما يتفق مع ما يفهمه الشاعر، ويقتنع به وبهذا تأخذ الحكمة (الجملة الاسمية) طريقها إلى الإقناع، وتلبس لبوس القيم الرفيعة. أمَّا إذا كان الجواب بـ(لا) فإن خاطرا آخر غير موجود في ذهن الشاعر يمكن أن يكون الجواب؛ لذا يسارع الشاعر إلى نفي أي احتمال آخر؛ ليثبت مقولته بأن من يتكلم عنهم ينطبق عليهم ما يقول، ولن يكونوا بالتأكيد غير ما ينسجم مع هذه المقولة، وكأنه يستبعد الإجابة التصديقية؛ ليجيب: هذه شيمة الدنيا من القدم. والجملة على هذا الرأي تكون:

هل نبغت في الأرض نابغة؟ فهذه، أو وهذه شيمة الدنيا من القِدَم.

بذا لا تكون هناك مخالفة نحوية لما قرَّره النحاة، وإنما يصبح من الجائز استخدام (أم) مع (هل) لغايات دلالية من دون أن يقع المتكلم بمحاذير نحوية لغوية.

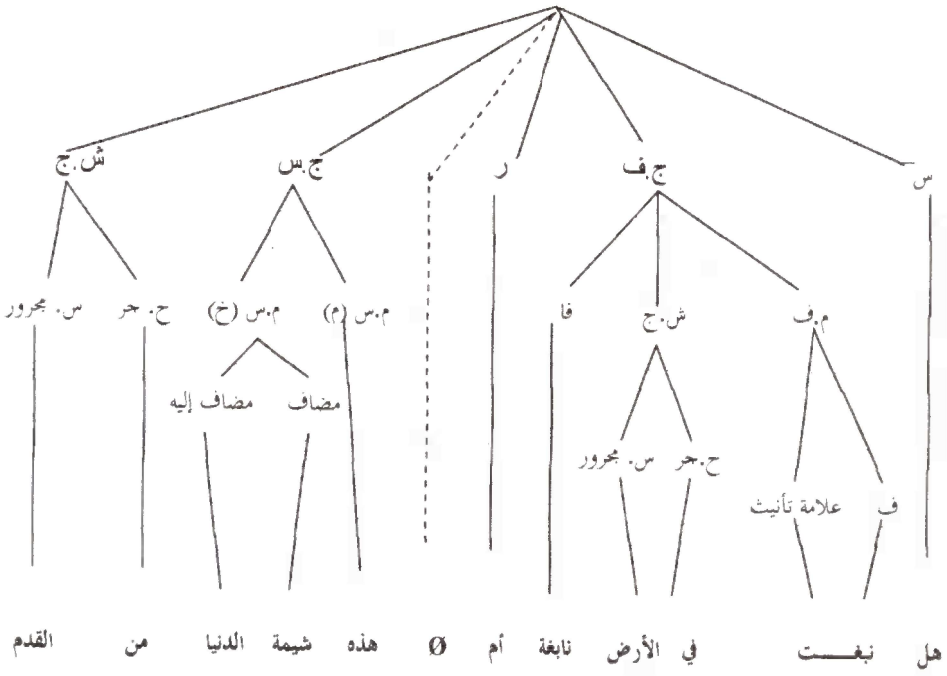

وفي التركيب:

لم أدرِ هـل خَطْـبٌ ألَـمَّ بِسـاحَتِي فأنــاخَ أمْ سَهْـمٌ أصـابَ سَوادِي؟

جملة تحويلية أصلها (ألَمَّ خَطْبٌ) ← ج.ف (= ف+ فا). وهي جملة لا تفي بغرض المتكلم في هذا السياق، فلجأ إلى تقديم الفاعل للعناية والاهتمام، وتنكيره هنا له فائدة عظيمة تنسجم مع الجملة (لَمْ أدْرِ) التي تصدرت الاستفهام، إذ يبدو الأمر وكأنَّ المصيبة، أو ما نزل بالشاعر يفوق الوصف والتعريف، بحيث كان له الأثر الكبير عليه، ولفظة (أناخ) وإن كانت تقف عند حد اللزوم، بمعنى الإقامة والمكث، إلا أنها قد تتجاوز ذلك فتحتاج إلى مفعول به، وهو هنا بلا شك الشاعر الذي أثر عدم الإفصاح عنه، ربما تحت ثقل وطأة هذا الخطب الذي اقتضى ذكر (ش.ج) بساحتي؛ ليدلل على هيمنته على الشاعر، والمكان بالدرجة نفسها.

وبزيادة (هل) الاستفهامية لا للسؤال عن وجود الخطب؛ لأنه في حقيقته نازل بساحته، وإنما يريد أن يسأل عن هذا الرابط ما بين (الخطب، والساحة، والإناخة) التي حصلت، وإنَّ السؤال بهذا الأسلوب لا يريد منه الشاعر الإجابة التصديقية بـ(نعم، أو لا)، كما تفيد ذلك الأداة الاستفهامية (هل)، وإنما المقصود بهذا الاستفهام إظهار مشاعر الحزن الذي انتاب الشاعر بعد وفاة زوجته، وكأنما يطلب من الآخرين الإحساس بهذا الألم والتوجع الذي يعاني منه، وتبين مصدره، ووجود الرابط (أم) ربما ينسجم مع ما سبق قوله، فصارت تحويلات الجملة كما يأتي:

← م.ف= ف+ فا+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← فا+ ف+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← س+ فا+ ف+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

جملة تحويلية جرى التحويل فيها بالزيادة والترتيب؛ للإفصاح عن مشاعر الحزن والألم.

وبالنظر إلى تعدد القراءات النحوية الجائزة، أو المحتملة فإنه يمكن القول أن خطب (=فا) في هذه الجملة هو (م) مبتدأ، وأن (خ) الخبر هو (م.ف) (=ف+ فا(Ø)) بعده، فتكون الجملة:

← س+ م+ خ (ف+فا(Ø)) + ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير).

أو أن يكون (فا) خبرا (خ)، والمبتدأ (م) محذوف تقديره (هو) أو مما يناسب السياق، فتصبح الجملة:

← س+ م (Ø)+ خ+ م.ف (ف+فا(Ø)) نعت+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير).

وهنا يلزم التنبيه (ثانيا) إلى جواز دخول أداة الاستفهام (هل) على الاسم إذا كان الفعل في حيزها، وهو من باب التوسع كما ذكر النحاة؛ لأنها تدخل على الجملتين الفعلية والاسمية، وتحولهما إلى معنى جديد يختلف من تركيب إلى آخر يشارك السامع في تبينه.

وأمر (ثالث) يمكن لحظه في هذه الجملة وأمثالها كذلك، وهو أنه بتفحص السياق الاستفهامي فإننا سنلحظ أن الاستفهام ورد ضمن سياق إدماجي إخباري أكبر، وعليه فإنه لا غرابة إذا لم يكن التنغيم الاستفهامي واضحا، فالقوة الإنجازية للسؤال تندمج في مثل هذه التراكيب، وتطغى عليها القوة الإنجازية المصاحبة للحمل الرئيس، وهو هنا (لم أدر).

وعليه هل تصدق هنا الملحوظة الآتية: أن أداة الاستفهام لم يكن لها الصدارة كما اشترط النحاة من قبل؟ ذلك أن الاستفهام ورد ضمن سياق إخباري أوسع، وأشمل فلم يكن له خيار إلا أن يفقد خاصية الاستفهام، ويصطبغ بدلالة السياق الإخبارية، فهو بهذه الحالة تابع، أو مدمج في سياق يعد فيه مكملا له "لا ينفرد الحمل المدمج بتنغيم قائم الذات يلائم القوة الإنجازية التي تواكبه، وإنما تحمل الجملة رمتها التنغيم الذي يلائم القوة الإنجازية التي تواكب الحمل الرئيسي، فالحمل المدمج في الجملة (لا أدري هل سيسافر خالد؟) مثلا، لا يأخذ التنغيم الملائم للاستفهام، وإنما يأخذ التنغيم الملائم للإخبار، أي القوة الإنجازية المواكبة للحمل الرئيسي"[٣٧].

فوجود مثل هذه التراكيب حيث تتوسط أداة الاستفهام السياق اللغوي ضرورة ملحة في كلامنا؛ لذا فإن إعادة النظر في مقولة النحاة بتصدر أدوات الاستفهام دائما قد تصبح

مقبولة؛ لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الأحاديث النبوية الشريفة التي ورد فيها مثل هذا التعبير، يقول عبد القادر الفاسي الفهري: "وفي منظور النحاة أن هذه الأسماء والحروف لها الصدارة، وإن كان هذا -فيما أعتقد- غير صحيح في جميع الأحوال، فالأسماء التي أعتبرها مركبات اسمية، أو حرفية، أو ظرفية، (لأنها تقوم مقامها) قد تظل في مكان داخل الجملة دون أن تتصدرها، وذلك في نوعين من الاستفهام: الاستفهام -الصدى (وهو استفهام يكرر الجملة الخبرية محافظا على الرتبة فيها، والاستفهام المتعدد، أو هو استفهام تصوري ينصب على أكثر من مكون"[٣٨].

فهل يكون الحزن الشديد الذي ألَمَّ بالشاعر بسبب وفاة زوجته سببا في هذا الاستخدام المتفرد لأسلوب الاستفهام؟ بل هل كان رثاء الزوجة كغرض شعري قليل الطرق من الشعراء سببا لهذا الاستخدام القليل لهذا الأسلوب؟ وهل -فعلا- كان هذا الاستخدام خروجا مقصودا من الشاعر يريد منه التجديد في محتوى القصيدة وقالبها، ومن ثم اللغة، مثلما كان التعبير عن رثاء الزوجة، وإظهار الحزن الشديد عليها؟.

(ج١- أ) ← س¯+م.ف+ ش.ج+ ر (سببي)+ م.ف+ أم+ م.ف

← م.ف= فا (مقدم)+ ف

← ش.ج = ح. جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← م.ف= ر (سببي)+ ف+ فا (Ø) مفع به (Ø)+ أم

← م.ف= فا (مقدم) ف+ مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

(ج١- ب) ← س¯+ م.س+ ش.ج + ر (سببي)+ م.ف+ أم+ م.س

← م.س= م+ خ [= ف+ .فا(Ø)] أو

م (Ø)+ خ (اسم ظاهر)+ م.ف [=ف+فا(Ø)] نعت

← ش.ج = ح. جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← م.ف= ر (سببي)+ ف+ فا (Ø)+ مفع به(Ø)+ أم

← م.س= م+ خ [= ف+ فا(Ø)+] مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير).

أو: ← [م (Ø)+ خ (اسم ظاهر)+ (ف+ فا (Ø))+ مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)].

(ج٢) ← م.ف (منفي)+ م. استفهامي (مفع به)

← ح. نفي+ م.ف [ف+فا (Ø)+] مفع به (م.استفهامي)

← استفهامي [س¯+ [(م.ف) ؟ (م.س)+] ش.ج

← م.ف (ف+ فا) ↔ م.س [م+ خ (م.ف) ؟ م (؟) +خ+ م.ف (ف+ فا+ (Ø)] نعت+ ش.ج (ح. جر+س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← ر(سببي)+ م.ف (ف+ فا (Ø)+ أم+ [(م.ف) ؟ م.س)]

← م.ف (فا+ ف+ مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير) ↔ م.س [(م+ خ (م.ف)] ↔ م (Ø)+ خ+ م.ف [(ف+ فا (Ø) + مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)] نعت.

وفي التركيب:

لم أدْرِ: هـل ثابـت إليـه أنَاتُـه أم لم يَـزَلْ في غَيِّـه وهُيامِـه؟[٣٩]

جملة تحويلية أصلها التوليدي (ثابت أنات فلان) ← ج.ف (= ف+ فا) إخبارية لا تعبر عما يقصده الشاعر، فزاد (ش.ج) = (إليه)، وقدمها على (فا)، ثم لجأ إلى استخدام الاستفهام (هل)؛ لإفادة معنى التنبيه، والنصح والتوجيه، مستخدما المعادل (أم)، إذ إنه لا يريد الإجابة عن سؤاله بـ(نعم) أو (لا)، فصارت الجملة:

س¯+ م.ف =[ف+ش.ج+ فا (مضاف+ مضاف إليه (ضمير))+ أم+ م.ف(منفي) (=ف+فا(Ø))+ ش.ج (= ح.جر+ س. مجرور+ مضاف إليه (ضمير) + ح.عطف+ س.مضاف+ مضاف إليه (ضمير)]

فهي جملة تحويلية جرى التحويل فيها بالزيادة والترتيب؛ لإفادة معنى التخيير مستلزما دلالة التنبيه والنصح والإرشاد؛ لتحقيق الخيار الأول.

ولكن اللافت في هذا التركيب جملة أشياء ناقشنا بعضها فيما سبق من تراكيب، ففضلا عن دخول التركيب الاستفهامي في سياق إخباري أوسع، أولا، ودخول المعادل الاستفهامي (أم) على الخيار الثاني من دون تكرار (هل) ثانيا، فإن ثمة أمرا ثالثا، وهو ما

لم نناقشه فيما سبق، وهو دخول (أم) على سياق استفهامي منفي، إذ منعه النحاة "... مثلما يمتنع: هل لم يقم زيد؟؛ لأنه لا يجوز الاستفهام بها عن النسبة"[٤٠]، أو ما يسميه ابن هشام "التصديق السلبي"[٤١] فلا بد من وجود (هل) مذكورة، أو حتى محذوفة. فهل هذا استخدام جديد استحدثه الشاعر من لغة الناس؟ هل تكون (أم) هنا حرف عطف ليس غير بمعنى (أو) ضمن تركيب الاستفهام ربما يكون هذا صحيحا، وربما يكون شيء آخر هو الصحيح، كأن تكون (أم) هذه واقعة ضمن السياق الإخباري عامة كرابط استدراكي؛ فتكون بمعنى (بل) مثلاً. كأن الشاعر أجاب سؤاله أو عدل عنه مؤكدا عكس ما خمَّنه، أو ضمَّنه سؤاله، ومستنكرا هذا الفعل في الوقت نفسه؛ فتكون الجملة على هذا الأساس:

← م.ف (منفي)+ مركب استفهامي (مفع به) + ر (عطفي)+ م.ف (معطوف منفي)+ ش.ج ×٢

← م.ف (منفي) (= ح. نفي وقلب+ ف+ فا (Ø))

← مركب استفهامي (مفع به) (= س¯+ ف+ (علامة تأنيث))+ ش.ج (= ح.جر+ س. مجرور (ضمير))

← ر. عطفي (أم)+ م.ف (معطوف) منفي (= ح.نفي+ ف+ فا Ø))

← ش.ج (= ح. جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير))+ ر. عطفي)+ س. معطوف (مضاف+ مضاف إليه (ضمير).

ب. **أسماء الاستفهام:** وهي التي استعملها الشاعر كما هو مبين في الجدول أدناه:

أسماء الاستفهام	ما	من	أي	كيف	أين	متى	أنَّى	مجموع التكرار
التكرار	٨٥	٣٤	٥٣	١١٦	٤١	٢٦	١٠	٣٦٥

١- ما

اسم استفهام، ومعناه (أيَّ شيء)، نحو: "ما هي، ما لونها، وهي مبهمة، مضمنة معنى الحرف، تقع على كل الأجناس"[٤٢].

إذا سبقت بحرف جر وجب حذف ألفها، والاستعاضة عنها بالفتحة، فيقال: علامَ؟ فيمَ؟ وإثبات الهاء في آخرها عند الوقف أجود؛ لأننا نحذف من آخرها الألف، فيصبح آخرها كآخر: ارْمِه، واغْزُه، وقد شاع حذف الهاء، وربما تبعت الفتحة الألف في الحذف، فسكنت الميم، وهو مخصوص في الشعر[٤٣].

وقد نقل إثبات الألف في (ما) الاستفهامية مع اتصالها بحرف الجر لغة[٤٤]، وقيل ضرورة[٤٥].

والأصل في (ما) الاستفهامية أن تكون لغير العاقل، وقد ذهب الفرَّاء وغيره إلى أن العرب تجعلها في بعض المواضع خاصة بالعاقل على قِلَّة، مع أنه لم يشع ذلك في الاستعمال[٤٦].

ويرى ابن الحاجب أن (ما) مبهمة تقع على كل شيء فلا تختص بما لا يعقل عند الإبهام مع أن الأصل فيها أن لا تكون مبهمة وعند ذلك تختص بغير الناس[٤٧].

في حين عدَّها الزجاجي اسما تاما بغير صلة، مع أن الأصل فيها أن تحتاج إلى ما يزيل إبهامها، ولكنها في الاستفهام تامة لا تحتاج إلى صلة[٤٨]، وتأتي (ما) الاستفهامية لمعان أخرى، مثل: التحقير، والتعظيم، والإنكار[٤٩].

وهي -كما ذكرنا قبل قليل- موضوعة للاستفهام عن غير العاقل، وعن المبهم فلا يجوز أن تقول: ما زيد؟ مستفهما، ذلك أن (زيد) هنا ليس مبهما، وهو عاقل، فلا يجوز أن تستفهم بـ(ما) إلا إذا كنت مستفهما عن صفة زيد. فإن جعلت الصفة في موضع الموصوف على العموم جاز أن تقع على ما يعقل، فتقول: ما زيد؟ لتجاب على سؤالك بإحدى صفاته: طويل، قصير[٥٠].

وتدخل (ما) على الاسم، كما تدخل على الفعل، نحو: "ما قولك؟" و "ما تقول؟"، ثم إنه يلحق بها (ذا) وعندها لا تحذف ألفها، نحو: لماذا جئت؟ لأن ألفها صارت حشوا، وقد ذكر ابن هشام أوجه (ما) عندما تتركب مع (ذا)[٥١]

والذي يراه الباحث أن (ما) عنصر استفهام ليس بمختص، يدخل على الجملة التوليدية، أو التحويلية: الاسمية، أو الفعلية؛ لإزالة الإبهام الذي في الاسم أو التعرف إلى

صفته، أو للاستفهام عن الفعل في حال دخوله على الجملة الفعلية، ولعل في دخول حرف الجر على (ما) تحديدا يخص الشيء المسؤول عنه، وذلك حسب حرف الجر الداخل. وهي تدخل على الجملة فتحولها إلى جملة استفهامية، تحمل في سياقها معنى بلاغيا آخر.

أما بالنسبة إلى حذف الألف من أداة الاستفهام (ما) عند دخول حرف الجر عليها، فالصحيح أن هذا الحذف يمكن ردُّه إلى تغير (فنولوجي) صوتي يحدث لهذه الأداة – ولغيرها من الأدوات– فتُحْذَف بعض الأصوات منها، أو تُقَصَّر حركة طويلة فيها، وربما يُحْذَف في بعض المواضع مقطع كامل، وهنا فإن الأمر لا يخرج عن كونه تقصيرا في حركة الفتح الطويلة –الألف– إذ يعد علماء اللغة أن الألف عبارة عن فتحة طويلة أو مشبعة"[٥٢]، أو كما قال ابن يعيش قديما: "إن الفتحة هي ألف صغيرة"[٥٣].

عدا ذلك فإنه لا يصح القول بحذف الألف إطلاقا، إلا في موضعين هما: الضرورة الشعرية فيما يسمونه في الشعر الإطلاق، وهو ما ذكره النحاة بالشذوذ أو عندما تلحقه اللاحقة (ذا)[٥٤].

والحديث الزائد عن (ذا) أهي اسم إشارة أم موصولة، أم زائدة؟ لا ضرورة له، وكان يكفي أن يقال: إن (ما) واللاحقة (ذا) تشكلان تركيبة استفهامية يسأل بها عن غير العاقل والمبهم.

وقد ترددت (ما)، و(ماذا) في (٨٤) أربعة وثمانين موضعا، مضفية على سياقاتها معاني مختلفة، كما يأتي:

أولا: (ما) وقد تكررت في (٦٧) سبعة وستين موضعا، حاملة المعاني الآتية: التعجب، والتعظيم، والتحقير، الإقرار والتأكيد، والإنكار، الاستعطاف، والاستمالة.

ثانيا: (ماذا) وقد تكررت في (١٧) سبعة عشر موضعا، داخلة على الجملة الاسمية في (٤) أربع مرات، والجملة الفعلية في (٧) سبع مرات، وشبه الجملة في (٦) ست مرات، كما يأتي:

أنماط التراكيب بـ(ما): أخذ الاستفهام بـ(ما) الأنماط الآتية:

← ما +المستفهم عنه = { (س) }، ومنه:

طورا تغني وأحيانـا تنـوح فمـا ذاك الغِناء وهذا النوح والوله؟[٥٥]

← ما+المستفهم عنه = { (ج.ف) } ، ومنه:

غَـرَّنـــــي، ثـــم تَـولَّـــى ليـت شِعـري، مـا بـدا لـــه؟[٥٦]

← ما+المستفهم عنه = { (ش.ج) } ، ومنه:

إذا ساء صنع المرء ساءت حياته فما لصروف الدهر يوسعها سَبًّا[٥٧]

← حرف جر+ ما (محذوفة الألف)+ المستفهم عنه = {(ج. ف)}، ومنه:

إلامَ يهفـو بحلمـك الطَّـــرَب؟ أبعد خمسين في الصِّبا أرَبُ؟[٥٨]

← حرف جر+ ما (محذوفة الألف)+ المستفهم عنه = {(س)}، ومنه:

ففيمَ اقتنـاء الدرعِ والسَّهْمُ نافذٌ؟ وفيم ادِّخارُ المالِ والعُمْرُ ضائعُ؟[٥٩]

← ماذا+ المستفهم عنه = {(ج. س)}، ومنه:

إذا مـا أقـر المـرءُ يومـا بذنبـــه فماذا الذي تُغني لَجاجةُ خصمه؟[٦٠]

← ماذا+ المستفهم عنه = {(ج. ف)}، ومنه:

مـاذا يضـرُّكَ لـو سمحتَ بنظـرة تحيـا بهـا نفسٌ عليـك تسيـلُ؟[٦١]

← ماذا+ المستفهم عنه = {(ش.ج)}، ومنه:

مـاذا عـلى من بخلـت نفســـه بالوصل لو قبَّلتُ طرف الأتَكْ؟[٦٢]

تحليل التراكيب

نلحظ من كل ما سبق أن (ما) عنصر استفهام دخل على الجملة الفعلية (ج.ف) والجملة الاسمية (ج.س) وكذلك شبه الجملة (ش.ج) فحولتها من توليدية إخبارية إلى استفهامية، يقصد بها السؤال عن حقيقة الشيء المسؤول عنه، حاملة معنى آخر.

فقد يكون التعظيم مقصودا لَّما قال: "**فما ذاك الغِناء وهذا النوح والوَلَه؟**"، فالنوح والغناء من الصفات التي يمكن للإنسان أن يعكسها على تلك الطيور نظرا إلى تنوعها، فتصدر من الأصوات ما يمكن تصنيفه تحت هذين اللونين من المشاعر، فعندما سأل عن الغناء أبدله من اسم الإشارة (ذاك) الدال على البعد، فالغناء بعيد يصعب الشعور به في

حالة مثل تلك التي يعيشها الشاعر في منفاه، بينما نراه استعمل النوح بدلا عن اسم الإشارة (هذا) القريب جدا من حالة الشاعر، وشعوره الحقيقي الذي ينوء تحت ثقله؛ فهو بذلك وضع الضدين في سياق استفهامي واحد مستعملا (ما).

وفي التركيب: "**فما لصروف الدهر يوسعها سبا**؟"، استعمال متفق مع ما قال به النحاة، لكنها تحول الجملة إلى معنى آخر هو التعجب، الذي يبديه الشاعر حيال من يسب الدهر مع العلم أن صنيع الإنسان هو الذي يجعل من حياته سيئة، فبدل أن يحسن من فعله يتوجه إلى سب الدهر الذي يمضي عليه وعلى غيره.

وكذلك **التركيب:** "**إلامَ يهفو بحلمك الطرَبُ**؟"، وهو استعمال (ما) محذوفة الألف بسبب دخول حرف الجر عليها، بما يتفق مع أقوال النحاة، وقد توجه الشاعر إلى معنى (الإنكار) بسبب ذلك الخروج عن المألوف الذي يقوم به المسؤول، برغبته العودة إلى أيام الصِّبا والطرَب الذي يرافقها، مع التأكيد أن ما فات لا يرجع، والأولى أن يتوجه الإنسان إلى خالقه بالعبادة والزهد في هذه الدنيا الفانية التي لم يتبق منها الكثير.

أمَّا التركيب: "**فماذا الذي تغني لَجاجةُ خصْمِه**؟"، ربما يكون فيه نفي لبعض مقولات النحاة، حيث دخلت (ما) على (ذا) التي قال بعضهم إنها بمعنى (الذي)، وذكر بعضهم أنها (اسم إشارة)؛ فهل يعقل أن تكون بهذا المعنى إذا تلاها الاسم الموصول (الذي) نفسه؟ وعليه تكون (ماذا) عنصر استفهام قائما برأسه، مثله مثل (ما) أو (هل) وغيرهما، وهو ما ذهب إليه الباحث، ولعلها في هذا السياق تكون محولة لمعنى النفي أو الإنكار، فإمَّا أن الشاعر ينفي أن تكون لِلَجاجة الخصم قيمة أو فائدة، وإمَّا أنه يستنكر على الخصم أن يقوم باللجاجة على إقرار خصمه بالذنب.

وفي **التركيب** الأخير: "**ماذا يضرُّك لو سمحتَ بنظرة**؟" جملة استفهامية محولة لمعنى الاستعطاف والاستمالة لتقديم نظرة يمكن لها أن تحيي نفسا عاشقة.

٢- مَنْ

اسم يسأل به عن العاقل، حيث لا تستخدم في السؤال عن غيره من الأشياء، وتدخل

على الاسم: معرفة ونكرة على حد سواء، والفعل ماضيه ومضارعه، من دون استثناء أو تخصيص[٦٣].

وقال بعضهم: إن في الاستفهام بها عن المعرفة لغتين: الأولى الحجازية حيث تحمل على الحكاية، فيسأل بها عن الاسم كما ورد في السياق: رفعا، أو نصبا، أو جرا، فيقال: من زيد؟ لمن قال: هذا زيد. ومن زيداً؟ لمن قال: رأيت زيداً. ومن زيدٍ؟ لمن قال: سلمت على زيد[٦٤].

الثانية: التميمية، إذ يرفعون على كل حال، وارتضاه سيبويه[٦٥]، أما المبرد فقد قبل الرأيين من دون أن يرجح أحدهما على الآخر، قال: " وهذا سبيل كل اسم علم مستفهم عنه تحكيه كما قاله المخبر، ولو قلت في جميع هذا: من عبد الله كان حسنا جيدا"[٦٦].

وقد ترد (ذا) مع (من) في نحو: من ذا لقيت؟ على أن تكونا مركبتين كالكلمة الواحدة، أو تكون (من) استفهامية، و(ذا) موصولة، أو (من) استفهامية، و(ذا) زائدة، على رأي الكوفيين[٦٧]. ولعل مصدر هذا الاختلاف بين النحاة مردُّه إلى أنهم يعدُّون (مَن) اسما، في حين يعدُّون (من ذا) مركبا من اسمين لكل منهما موقعه من الإعراب، فألزموا أنفسهم بهذه الأقوال المختلفة.

وذكروا أن بنيتها تتغير بحسب الذي تكنى له إفرادا، أو تثنية، أو جمعا، تذكيرا وتأنيثا، فتصبح: منان، مَنَيْن، مَنِين، منون، منه، منتين، منات[٦٨].

والذي يراه الباحث أن (مَن) عنصر استفهام، وكذلك (مَن ذا) يستفهم بهما عمَّا يخص الإنسان بشكل عام -الأسماء والصفات- فهي تكون سؤالا عمَّا يشخِّص ويعيِّن المسؤول عنه من بين ذوي العلم، تدخل على الجملة لتنقلها من معنى الإخبار إلى معنى جديد هو معنى الاستفهام.

وقد ترددت (مَن) في الديوان (٣٥) خمسا وثلاثين مرة، حاملة المعاني الآتية:

النفي، و التمني، و التحسر، التعجب، و الإنكار، و التفخيم.

أنماط التراكيب بـ(مَن)

← من+ المستفهم عنه { = (ج.ف) }

ومَن يقـــود الزحـــوفَ راجفـــة واليـومُ بالحـرب ساطـعٌ قَتَمُه؟[٦٩]

← من+ المستفهم عنه { = (س) }

سمـــع الخلـــيُّ تأوهـي فتَلَفَّتـــا وأصابه عجَب فقال: من الفتى؟[٧٠]

← من+ المستفهم عنه {= (ش.ج) }

فمَـن إلـــى مَلْجـــأ الضعيـــف إذا أقبـــل ليـــلٌ وأطْبَقَـــت ظُلَمُـــه؟[٧١]

تحليل التراكيب

يقول الشاعر:

فمَـن إلـى مَلْجـأ الضعيـــف إذا أقبـــل ليـلٌ وأطْبَقَـت ظُلَمُـــــه؟

ومَـن يقـود الزحـــوفَ راجفـــة واليـومُ بالحـرب ساطعٌ قَتَمُـه؟

في **البيت الأول**: نلاحظ التركيب الاستفهامي "**من إلى ملجأ الضعيف؟**" جملة تحويلية أصلها التوليدي (فلان إلى ملجأ الضعيف) جملة توليدية لا تعطي المعنى المقصود منها، فحذف (م) واستبدله بعنصر الاستفهام (من) وبزيادة القيد الشرطي، وبتقديم جوابه، صارت تحويلات الجملة كما هي عليه؛ لإفادة معنى التحسر، فالشاعر لا يريد الاستفسار عن الشخص المسؤول عنه بقدر ما هو بحاجة إلى الإفصاح عن مشاعر الحزن والألم التي أصابته حتى إنه يشعر أنه لا يستطيع أحد أيًّا كان تخفيفها عنه.

وفي **البيت الثاني**: "**ومَن يقود الزحوفَ راجفة** ؟" الذي يحمل المعنى نفسه غير أن دخول (من) كان على الجملة الفعلية (يقود)، وإضافة القيد الحالي (اليوم بالحرب ساطع قتمه)؛ ليبين أنه لا يريد معرفة المسؤول عنه بقدر ما هو راغب في تبيان حالة الألم والتفجع التي أصابته نتيجة فقد المسؤول عنه، وهنا قد يرى الباحث مشروعية السؤال عن البديل الذي يحل محل الفقيد الغالي، وهل قصد الشاعر هذا المعنى، أو ألمح إليه في غمرة حزنه العميم؟

وفي التركيب:

سمـــع الخلـــيُّ تأوُّهـــي فتَلَفَّتـــا وأصابه عجَب فقال: من الفتى؟

جملة تحويلية أصلها التوليدي (الفتى فلان) (= م+ خ)، وبحذف الخبر، والاستعاضة

عنه باسم الاستفهام، وتقديمه، صارت الجملة تحويلية بالحذف والزيادة وإعادة الترتيب؛ لإفادة معنى التعجب، والاستغراب لا لحقيقة المسؤول عنه، وإنما للحالة التي ظهر عليها.

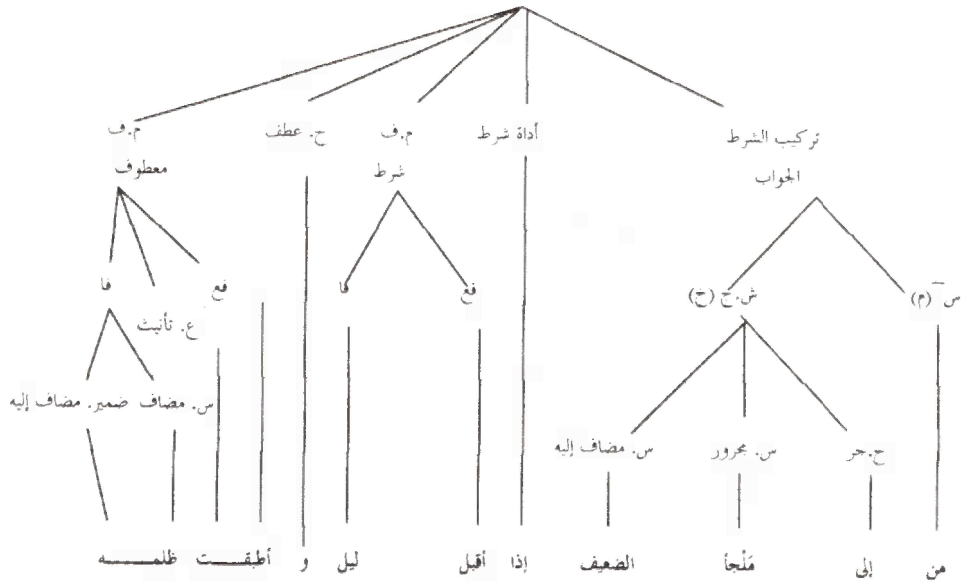

٣- كيف

اسم يستعمل على وجهين: "أحدهما أن تكون شرطا: فتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى، غير مجزومين نحو: "كيف تصنع أصنع"، ... بالجزم عند البصريين إلا قطربا لمخالفتها لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها"[٧٢]. والثاني منهما، والغالب فيها أن تكون استفهاما، إمَّا حقيقيا، نحو: "كيف زيد؟"، أو غيره، نحو: "كيف تكفرون بالله؟"[٧٣] الآية، فإنه أخرج مخرج التعجب[٧٤]. وتكون للسؤال عن الحال، يقول سيبويه: "وكيف: على أي حال؟"[٧٥]، يقال: كيف أنت؟ فتقول: صحيح، وآكل، وشارب، والأحوال أكثر من أن يحاط بها، فإذا قلت: (كيف)؛ فقد أغنى عن ذكر ذلك كله[٧٦]. وقد تستعمل حالا لا سؤال معه، نحو: "لأكرمنك كيف كنت" أي على أي حال كنت، و(كيف) بمعنى التعجب[٧٧]. ونقل عن سيبويه أن (كيف) ظرف، وعن السيرافي والأخفش أنها اسم غير ظرف[٧٨]. أمَّا ابن هشام فيرى: أنها تأتي مفعولا مطلقا، وأن منه: "كيف فعل ربك"[٧٩]، إذ المعنى: أيَّ فِعْل فَعَل ربك، ولا يتجه فيه أن يكون حالا من الفاعل[٨٠]، فموضعها عند سيبويه نصب دائما، وعند الأخفش والسيرافي رفع مع المبتدأ[٨١]. والغالب أن يليها (الفعل) لأن الأصل في حروف

الاستفهام أن يذكر بعدها الفعل[٨٢]، ولا تصلح (كيف) لإتباع ما بعدها لما قبلها.

يقول ابن الحاجب: "كيف للحال استفهاما، وعدَّت من الظروف؛ لأنها بمعنى: على أي حال، والجار والظرف متقاربان، وكون (كيف) ظرفا مذهب الأخفش، وهو عند سيبويه اسم بدليل إبدال الاسم منها، نحو: "كيف أنت؟" أصحيح أم سقيم؟ ولو كانت ظرفا لأبدل الظرف منها، نحو: متى جئت؟ أيوم السبت أم يوم الأحد؟ وقال الأخفش: يجوز إبدال الجار والمجرور منها، نحو: كيف زيدٍ؟ أعلى الصحة أم على أي حال ؟"[٨٣].

وتخرج (كيف) إلى معان غير استفهامية، ويعرف ذلك بقرينة السياق، ومنه، أن تكون للتعجب، نحو: "كيف تكفرون بالله" قال الفراء: الآية على وجه التعجب، والتوبيخ لا على الاستفهام المحض، أي ويحكم كيف تكفرون[٨٤]، ويعدها بعض البلاغيين للسؤال عن الحال وحقيقته، فإذا قيل: كيف زيد؟ فجوابه: صحيح أو سقيم أو غير ذلك[٨٥]

مما سبق ندرك مدى الاختلاف الذي وقع فيه النحاة عند حديثهم عنها، إذ يعدونها مرَّة حالا، ومرَّة ظرفا، وثالثة مفعولا مطلقا، وسبب هذا أنهم عدُّوها أصلا من أصول التركيب الذي ترد فيه، والصحيح أنها عنصر استفهام في هذا الموضع كغيرها من أدوات الاستفهام، يدخل على التركيب الإخباري في بنيته العميقة فيحوله من معناه إلى معنى الاستفهام عن أمر يجهله المتكلم بها، ويرى أن المخاطب على قدر من العلم به، وقد تخرج إلى معان أخرى، مثل: النفي، والإنكار، والتحذير ... بما يستلزمه السياق الاستفهامي المقصود أحيانا بدلالة قرينية، ولا يعني هذا خروجها من كونها أداة إلى الاسمية.

وتكررت في (١٠٦) مائة وستة مواضع؛ لتفيد الاستفهام، والغالب عليها أن تكون استفهاما حقيقيا تحمل معاني أخرى، مثل: التعجب، والنفي، واليأس، والمصاحبة للحال، وقد استخدم البارودي هذه الأداة -كما يرى الباحث- لأداء هذه المعاني، داخلة على الجملة الاسمية، والفعلية، وشبه الجملة، كما قرر النحاة من قبل:

أنماط التراكيب بـ(كيف)

← كيف+ المستفهم عنه { = (ج.ف) }

وكيف يصح بعد الغدر ودٌ وتسلم نية بعد ارتياب؟[٨٦]

← كيف+ المستفهم عنه { = (ج.س) }

فكيف احتيالي بين أمرين أشْكَلا علـيَّ فصـارا شِقـوة وغرامـا؟[٨٧]

← كيف+ المستفهم عنه { = (ش.ج) }

ما كـان أحْسَـنَ عَهْـدَهُ لَـوْ دامَ لـي مِنْهُ الوِدادُ، وكَيْفَ لي بِدَوامِهِ؟[٨٨]

تحليل التراكيب

في التركيب:

وكيـف يصـح بعـد الغـدر وُدٌّ وتسلـمُ نِيَّـةٌ بعـد ارتيـاب؟

جملة تحويلية أصلها في البنية العميقة "يصح ود" و "تسلم نية" جملتان فعليتان لا تعبران عمَّا يريده الشاعر، فأضاف شبه الجملة (ش.ج) في كل جملة "بعد الغدر"، و "بعد ارتياب"، وقدمها في الجزء الأول، ثم لجأ إلى استخدام أداة الاستفهام (كيف) الدالة على الحال؛ لتفيد معنى آخر وهو النفي، وكأنما يريد الشاعر أن يقول: إنه لا يمكن أن يكون الحال كما تصوره المسؤول بأن "يصح الود"، و"تسلم النية"، بعد كل الغدر والارتياب.

وفي التركيب:

وكيـف لا تبلغ الأفـلاكَ دولـةُ مَنْ أضحى به العدلُ حِلاًّ غيرَ محظور؟[٨٩]

جملة تحويلية أصلها "تبلغ دولةُ الأفلاك" جملة فعلية (= ف+ فا+ مفع به) لا تفي بالغرض الذي يقصده الشاعر، فلجأ إلى جملة تحويلات لتحقيق المعنى الذي يرغب، تحويل الفاعل إلى مضاف، وزيادة المركب الاسمي المنسوخ (=ف.ن+ ش.ج+ الاسم+ خ+ نعت مضاف+ مضاف إليه)، ثم زيادة أداة النفي، ثم أداة الاستفهام التي تفيد معنى حال المركب المنفي، مستلزمة معنى التعجب من عدم تصديق الآخرين وصول الدولة المكانة العالية، إذا كان من يقودها يمتلك القدرة على تحقيق العدل المطلق الذي يفيء به كل إنسان.

ونلحظ هنا دخول (كيف) على سياق نفي، الذي اختصت به (الهمزة) كما عرفنا، ولكن يبدو هنا أن المقصود معنى السياق، كأنه يقول: كيف نكذّب وصول الدولة إلى الحال التي يصفها بسبب وجود القائد العادل.

وفي التركيب:

فكيف احتيالي بين أمرين أشْكَلا علـيَّ فصارا شِقـوة وغـراما؟

جملة محولة عن الجملة النواة -البنية العميقة- بوساطة أداة الاستفهام (كيف)؛ لإفادة معنى الاستفهام، مستصحبا معنى التعجب، فالشاعر لا ينتظر جوابا عن سؤاله، وإنما يؤكد مشاعر التعجب لوصف حاله الذي لا يسر صديقا بما يبعث في النفس جوا من الحزن والحيرة المشوبين بالرغبة في الاستقرار على حال تبعد القلق عن نفسه. وهي هنا تتطابق مع الخبر من حيث الموقع الإعرابي الذي سدت مسدَّه، كما يأتي: س +م.س (=مضاف +مضاف إليه) +م.س (=ظرف مضاف +مضاف إليه).

أمَّا في حالة لزوم دخول أداة الاستفهام (كيف) على الفعل، كما قال بذلك أغلب النحاة، فإن فعل الكون هو الأكثر مناسبة في مثل هذه الحالة، وعندها تكون أداة الاستفهام في موضع خبر الفعل الناقص (ف.ن) يكون، كما يأتي:

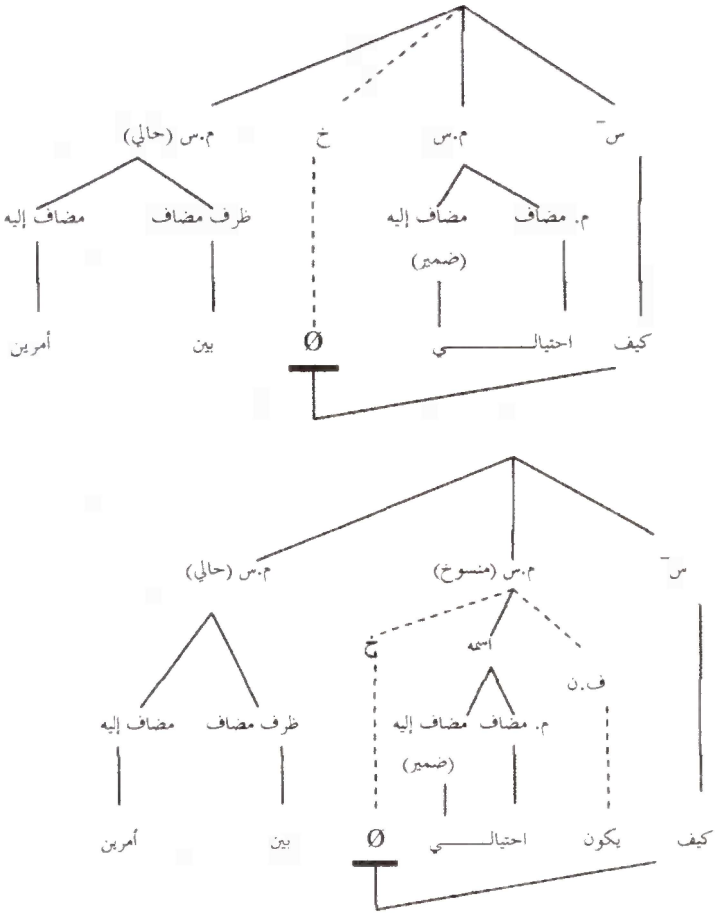

وفي التركيب

ما كـان أحْسَنَ عَهْـدَهُ لَـوْ دامَ لي مِنْـهُ الوِدادُ، وكَيْـفَ لي بِدَوامِـهِ؟

جملة محولة لا يقصد الشاعر الحديث بها عن حسن حال عهد المحبوب المرتبط أصلا بالوداد، ولا السؤال عن دوام الوداد منه، وحسن العهد، وإنما يريد أن يبين مدى حال اليأس التي وصل إليها، وذلك بتوضيح عدم قدرته على استبقاء الوداد، بل وعجزه؛ بإدخال (كيف) على شبه الجملة (لي)، ثم الجزئية (دوام الوداد) التي يركز عليها.

٤- أين

يستفهم بها عن المكان[٩٠]، فيقال: أين زيد؟ كأنه أريد أن يقال: أفي الدار زيد أم في المسجد، أم في السوق، أم في بغداد، أم في البصرة؟ وفي ذلك إطناب؛ فجيء بـ(أين) مشتملة على الأماكن كلها، فهي في إفادتها العموم مثل (كيف)، غير أن بينهما فصلا، وهو أنك إذا قلت:"أين زيد؟ لم يجب على المسؤول أن يذكر في الجواب أكثر من مكان واحد؛ لأن شيئا واحدا لا يكون له أكثر من مكان واحد في وقت واحد، ويكون له أحوال عديدة في حال واحدة، فالغرض به الايجاز والاختصار"[٩١]. وأين مبنية على الفتح، ولا تصلح لاتباع ما قبلها لما بعدها بالحركة؛ لأنه يبدأ بها، ولا يضمر بعدها شيء. وقال الزجاجي: تكون استفهاما، كقولك: أين أخوك؟ وأين زيد؟ وتكون بمنزلة (حيث)، كقولك: أين أنزل؟ وأين أبيت؟[٩٢].

ويرى ابن يعيش أنها تأتي شرطا مضمنة معنى الاستفهام، ويزاد عليها (ما)، نحو: أينما تكونوا أكن، ودخول (ما) عليها لزيادة إبهامها[٩٣]. وذكرها ابن فارس بقوله: " إنها تكون استفهاما عن مكان، وشرطا لمكان"[٩٤].

وهي عند البلاغيين[٩٥] سؤال عن تصور حقيقة المكان، كقوله تعالى: ﴿**أين شركاؤكم**﴾[٩٦].

وهي كما يبدو للباحث أداة، ولا علاقة لها بالاسمية، ولابالظرفية، مع أنه لا تناقض مع ذلك، فلا تحتاج إلى إعراب، أو تقدير؛ فهي أداة استفهام، يستفهم بها عن المكان مطلقا، حيث تصبح جزءا من التركيب الأساسي في الجملة النواة، وتكون مقابلا للجزء المسؤول

عنه في ذلك التركيب، بحيث لا يجوز حذفها، إذ إن حذفها يعني عودة التركيب إلى تركيب إخباري، كما هو في البنية العميقة، ولا يحتمل التنغيم نقل الدلالة المطلوبة من الأداة (أين).

أنماط التراكيب بـ(أين)

تراكيب الاستفهام بـ(أين)

تكررت (أين) في (٤٠) أربعين موضعا، وقد دخلت على الاسم، في (٣٥) موضعا، وعلى الفعل في (٥) مواضع، مستفهما بها عن المكان.

← أين+ المستفهم عنه { = (ج.ف) }

وأيـن أبغـــي ناصـــــرا هيهــات والخـــيرُ انطـوى؟[٩٧]

← أين+ المستفهم عنه { = (ج.س) }

وأين من تملـــك الأحرارَ شيمتُـه والغدر في الناس داء غير منسجم؟[٩٨]

تحليل التراكيب

في التركيب:

وأين أبغي ناصرا هيهات والخيرُ انطوى؟

دخلت أداة الاستفهام على الجملة الفعلية ← ج.ف (= فع +فا +مفع به) فحولتها إلى معنى آخر، ربما يكون (الاستبعاد)، يدلنا على ذلك فضلا عن (أين) السياق الذي وردت فيه –التركيب الاستفهامي.

وفي التركيب:

وأين مَنْ تملك الأحـــرارَ شيمتُـه والغدرُ في الناس داءٌ غيرُ مُنْحَسِم

وقد دخلت الأداة في هذه الجملة على الاسم؛ لتحول معنى الجملة من السؤال عن المكان تحديدا إلى معنى التمني، حيث إن الشخص الذي يحمل الشمائل الجيدة، ويستطيع أن يأسر الأحرار بها غير موجود؛ بسبب تفشي الغدر بين الناس، وقد تحمل كذلك معنى الاستبعاد، فوجود ذلك الشخص مستبعد نظرا إلى ما ذكره من فساد أخلاق الناس، وعدم القدرة على انصلاحها.

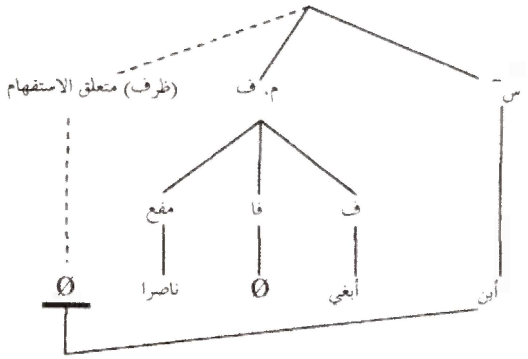

وفي التركيب:

أين أهـــلُ الـــــدارِ، فانْظُـــرِ هـــل تـــرى بالـــدار أهـــلا؟(٩٩)

في الجملة تحويل بأداة الاستفهام (أين) من السؤال عن المكان المحدد إلى معنى الوعظ، وإسداء العبرة لمن يسمع مثل هذا السؤال، فالأهل قد طواهم الردى، والدار قد خلت من أهلها.

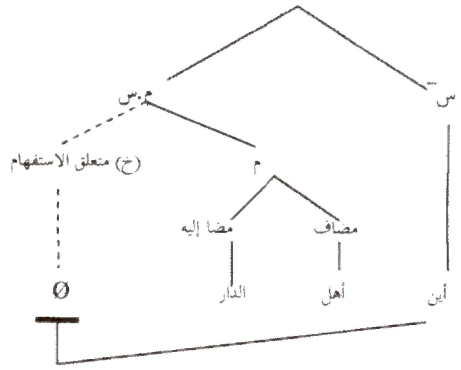

٥- أيّ

يسأل بها عمَّا يميِّز أحد المتشاركَيْن في أمر يهمُّهما؛ ولذلك تُفَسَّر بـ(همزة) الاستفهام، و(أم) في طلب التعيين، وقد ذهب النحاة إلى أن (أيّ) هي بعض ما تضاف إليه، قال المبرد: "اعلم أن (أيّا) تقع على شيء هي بعضه، ولا تكون إلا على ذلك في الاستفهام، وذلك قولك: (أيّ أخوتك زيد؟) فقد علمت أنَّ زيدا أخوه، ولم تدر أيهما هو ... واعلم أن كل ما وقعت عليه (أي) فتفسره (ألف) الاستفهام، و(أم)، ولا تكون إلا على ذلك؛ لأنك إذا قلت: (أزيد في الدار أم عمرو؟) فعبارته أيهما في الدار؟ ولو قلت: (هل زيد منطلق؟) أو (مَن

زيد؟) أو (ما زيد؟) لم يكن لـ(أي) هاهنا مدخل. فـ(أي) واقعة على جماعة مما كانت إذا كانت (أي) بعضا له"[١٠٠]. وتستعمل لمن يعقل، ولمن لا يعقل بحسب ما تضاف إليه؛ لأنها بعض من كل، فإن أضفتها كانت منه[١٠١]، فهي لا تدخل إلا على الاسم. وقالوا بأنها معربة من بين أسماء الاستفهام لحملها على النظير، أو النقيض، أو عليهما معا، والنظير لها (بعض)، والنقيض لها (كل)، وهما معربان؛ فأعربت حملا عليهما، أو على أحدهما[١٠٢]. وتخرج لمعان أخرى مصاحبة للاستفهام، مثل: التحسر، والإنكار، والتعجب، والنفي.

أنماط التراكيب بـ(أيّ)

وقد ذكرت في (٥٣) ثلاثة وخمسين موضعا، دخلت فيها على العاقل (١٧) سبع عشرة مرة، وعلى غير العاقل (٣٦) ستا وثلاثين مرة، من ذلك ما يأتي:

← أي +المستفهم عنه = { (عاقل) }، ومنه:

أي فـــتى للعظـيـم نَنْـدُبُـــه شاطَ على أنْصُلِ الرِّماحِ دَمُـه؟[١٠٣]

← أي +المستفهم عنه = { (غير عاقل) }، ومنه:

وأيُّ حســامٍ لم تُصِبْهُ كَـلالَـــةٌ؟ وأيُّ جوادٍ لم تَخُنْه الحَوافِرُ؟[١٠٤]

تحليل التراكيب

في التركيب الأول نلحظ أن الاستفهام حوَّل الجملة في بنيتها العميقة من معناها الإخباري الرئيس إلى معنى الاستفهام متضمنا معنى آخر مستلزَما بأداة الاستفهام (أي)، وهو استبعاد إمكانية استبدال ذلك الشخص الذي قضى لمواقف صعبة يمكن مواجهتها بعده.

وفي التركيب الثاني جرى تحويل الجملة الخبرية في بنيتها العميقة بوساطة أداة

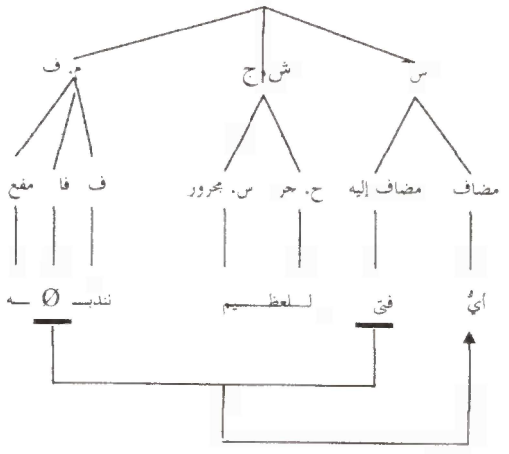

الاستفهام إلى معنى الاستفهام مستلزما معنى التأكيد، والاقرار بأن كل السيوف لابد أن تصيبها الكلالة، وكذلك كل الجياد لابد أن تكبو.

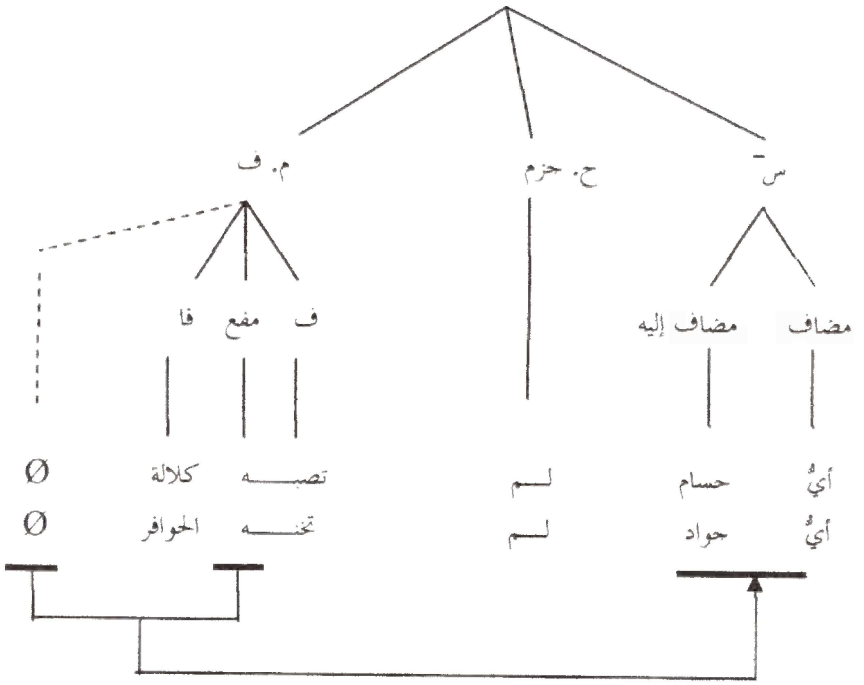

٦- متى

تأتي متى على خمسة أوجه، اسم استفهام[١٠٥]، نحو: (متى نصر الله؟)[١٠٦]، وهي "سؤال عن زمان مبهم يتضمن جميع الأزمنة"[١٠٧]، ومثلها في الإشارة إلى الزمان (أيَّان)، قال سيبويه: "إن (أيَّان) للسؤال عن الزمان، وهي بمعنى (متى)"[١٠٨]. ويؤكده ابن الحاجب إلا أنه يقول: "إن (متى) أكثر استعمالا، وتختص (أيَّان) بعظام الأمور، نحو قوله تعالى: "أيَّان مرساها"[١٠٩]، وكذلك فهي تختص بالاستفهام عن المستقبل، بخلاف (متى) التي تستعمل في الماضي والمستقبل"[١١٠].

ويقول ابن فارس: "(متى) سؤال عن الوقت، فتكون شرطا، وبمعنى وسط في لغة هذيل"[١١١]، وهي في الزمان بمنزلة (أين) في المكان، وتنقل إلى الجزاء كأين[١١٢]، قال الشاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نـار عندها خـير موقد

فالسؤال بها يكون عن الزمان دون السؤال عن العدد، ويجاب عليها باليوم، أو الشهر كذا، والآن، أو حينئذ، ولا يجوز القول: متى زيد؟ لأن الزمان لا يكون خبرا عن الجثة[١١٣].

ويقول سيبويه: "وإذا قال: ما معنى متى؟ قلت: في أي زمان"[١١٤].

وقد تظهر معان أخرى لها عند الاستعمال، مثل: التفخيم، والتهويل، والاستبطاء، ...، والحقيقة أن السياق هو الذي يظهر مثل هذه المعاني، ذلك أن (متى) عنصر استفهام تدخل على الجملة، فتحول معناها إلى الاستفهام عن الزمان مطلقا، فهي مثل أخواتها من أدوات الاستفهام تثري بها الجمل التي تدخل عليها.

أنماط التراكيب بـ(متى)

وردت (متى) في (٢٦) ستة وعشرين موضعا متخذة الأنماط الآتية:

← متى +المستفهم عنه = { (ج. ف) }، ومنه:

متى ينقضي عمر الحياة؟ فتنقضي مآربُ كانت عِلَّةً للمظالم[١١٥]

← متى +المستفهم عنه { = (ج. س) }، ومنه:

يا سعدُ قل لي فأنتَ أدرى متى رِعانُ العقيق تبدو؟[١١٦]

تحليل الأنماط

في التركيب

متى ينقضي عمر الحياة؟ فتنقضي مآربُ كانت عِلَّةً للمظالم

جرى تحويل البنية العميقة في التركيب من الإخبار المحايد إلى الاستفهام عن الزمان باستعمال أداته (متى) التي تحمل كذلك معنى آخر يريد الشاعر تضمينه سؤاله، ربما يكون الاستبطاء، أو التمني؛ لأنه لا يريد الإجابة بتاريخ محدد، بل يريد أن يرى وقتا يعود فيه العدل، وينتهي فيه الظلم وأسبابه.

وفي التركيب

يـا سعـدُ قـــل لـي فأنـــتَ أدرى متـــى رِعـــانُ العقيـــق تبـــدو

جرى تحويل البنية العميقة في التركيب من الإخبار المحايد إلى الاستفهام عن الزمان المتضمن معنى آخر، وكما يظهر للباحث إظهار اللهفة والتشوُّق لرؤية الأهل، والعودة إلى الموطن.

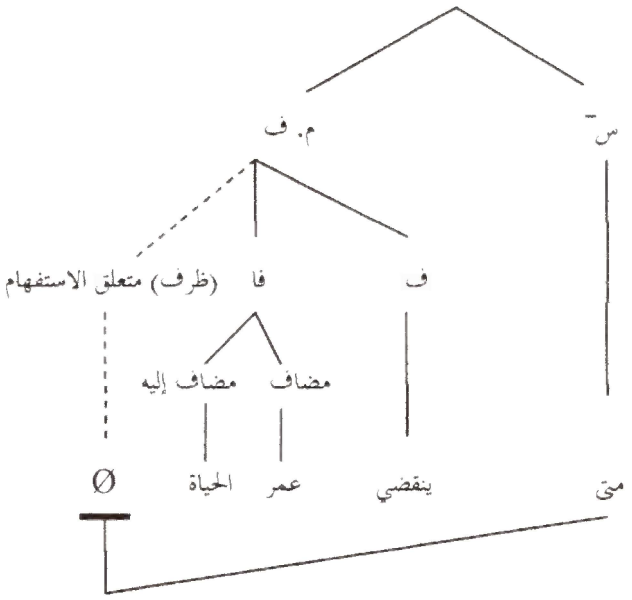

٧- أنَّى

وردت في عشرة مواضع، وكانت بمعنى (كيف)، كما جاء عن سيبويه، حيث ذكر أنها تعني كذلك (أين)[١١٧]. وقد ذكرها المفسرون بمعنى (كيف)، كما في قوله تعالى: "أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها"[١١٨]، وبمعنى (من أين) كما في قوله تعالى: "أنَّى يكون لي ولد"[١١٩]، وربما جاز في الموضعين كلا المعنيين[١٢٠]. وأكد نحاة ومفسرون بأنها تأتي بمعنى (من أين)، ولا تكون بمعنى (أين)، وذكر ذلك البلاغيون أيضا؛ فهي لا تأتي إلا بمعنى (كيف)، و(من أين)[١٢١]؛ لأن (أين) تعني المكان الذي حلَّ فيه الشيء، و(من أين) سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء.

يقول: **بلغتُ مجهودَ نفسي في الثناء ولم أبلغ عُلاكَ، وأنَّى يُدْرَك القمرُ؟**[١٢٢]

وقوله: **أنَّى يفرُّ المرءُ مِن شـــرَكِ الرَّدى والموتُ مقدورٌ على الحَيَوَانِ؟**[١٢٣]

جرى في الجملتين السابقتين تحويل من البنية العميقة فيهما، والتي تحمل الإخبار المحايد، إلى معنى جديد هو الاستفهام بـ(أنَّى)، الذي يحمل معنى إضافيا، وهو كما يراه الباحث (معنى النفي)، فكما أن القمر لا يدرك في الجملة، كذلك فإن مكانة الممدوح في نفس الشاعر لا يمكن إدراكها مهما بذل من جهد.

وكذا الأمر في الجملة الثانية، فهل هناك مِنْ جِهَةٍ يمكن أن تُنْجِي الإنسانَ من الموت، إذ هو مقدور على كل ما فيه حياة؟ فإذا كان بعد المكانة المقصود من الثناء في الأولى منفيا، فإن النفي يقع على المكان في الثانية، ولعل فيهما معنى (كيف)، وهو ما يتفق مع أقوال النحاة.

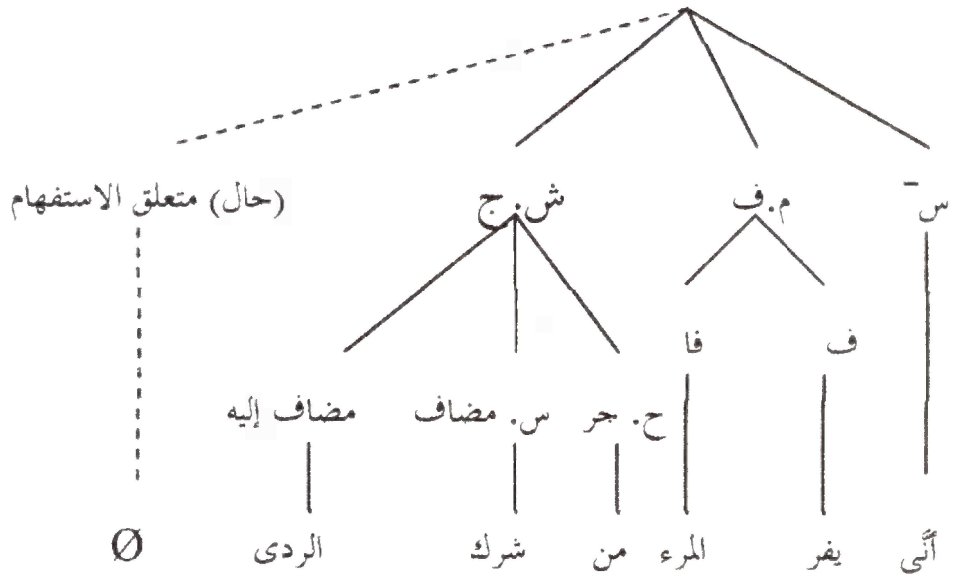

القسم الثاني

أولا: الاستفهام محذوف الأداة

الهمزة (أَمَ) أدوات الاستفهام؛ وقد خُصَّت بعدة أحكام منها: أن لها الصدارة، وأنه يجوز حذفها سواء تقدمت على (أَم) أم لم تتقدمها، حيث يبقى السياق دالا عليها،[١٢٤]، بينما لا تحذف (هل) خشية التباس المعنى، وعدم وضوحه؛ لأنها تحمل معنى استفهاميا خاصا وهو السؤال عن النسبة، أما بقية أدوات الاستفهام فلا يجوز حذفهن؛ لأنه يستفهم بهن عن معناهن الحقيقي الذي وضعن له، كالسؤال عن العاقل، أو الزمان، أو المكان، أو الحال، أو السبب، وغيرها.

ولعل الباحث يرى أن (هل) ينسحب عليها ما أجراه النحاة على الهمزة من حيث جواز حذفها؛ ولاسيما إذا كان المقصود من السؤال بها التصديق، إذ تلتقي مع الهمزة في هذه النقطة؛ فقرينة التنغيم المصاحبة للاستفهام بهما تقع على آخر مقطع في الجملة صاعدة من أسفل إلى أعلى[١٢٥]. بخلاف نغمتها الهابطة قبل تحويلها إلى الاستفهام[١٢٦]؛ لذا فإن حذفها يصبح جائزا في جملة (هل قرأت الدرس؟) كما هو جائز في الجملة: (أقرأت الدرس؟).

وإذا كان هذا كذلك، فإن الأدوات الأخرى كما يؤكد الدرس الألسني الحديث صارت جزءا من البنية العميقة للتركيب الذي ترد فيه؛ لذلك لم يجز حذف أيّ منها.

وكان العربي يعبر عمَّا في ذهنه من معان في باب الاستفهام سواء أكان بأداة أم بغيرها؛ ذلك أن إيقاع الجملة، ومقام التلفظ بها علامة وظيفية دالة على الاستفهام بما يصاحبها من نغم صوتي عادة ما يرافق تراكيب الاستفهام، فإذا قال الشاعر:

بدا لي منها معصم حين جمَّرت ... وكفٌّ خضيب زُيِّنت ببنان

فوالله ما أدري وإن كنت داريا ... بسبع رميت الجمر أم بثمان؟[١٢٧]

فهو يريد أبسبع؟، أو قال، ولم يذكر (أم) بعدها:

طَرِبْتُ وما شوقا إلى البيض أطْرَبُ ... ولا لَعِبًا مني، وذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟[١٢٨]

فهو يريد: أَوَ ذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟

أو قوله كذلك:

ثم قالـــوا: تُحِبُّهـا؟ قُلْـتُ: بَهْـرا عـددَ الرمل والحصى والتراب[١٢٩]

فهو يريد: أتحبها؟

يدلنا على ذلك إيقاع الجملة، ومقام التلفُّظ بها؛ فهي علامة وظيفية دالة على الاستفهام بما يصاحبها من نغم صوتي يرافق عادة هذه التراكيب، فالنغمة الصوتية تصبح عند هذا الحد عنصرا من عناصر الاستفهام مثلها مثل أي أداة تحول الجملة من معنى الإخبار إلى معنى الاستفهام.

فإذا كان النبر والتنغيم في بعض اللغات العالمية يعد من الوسائل الرئيسة في تحديد معاني مفرداتها: اسمية كانت أم فعلية، فإن اللغة العربية لا تعتمد على النبر في تحديد مستوياتها الكلامية، بمعنى أن يكون النبر محددا لإسمية هذه الكلمة أو فعليتها، ولكنها تعتمد التنغيم عنصرا من عناصر تحديد معنى الجملة رمتها؛ فالتنغيم لا يكون في الاستفهام، وفي الجمل عموما إلا لمعنى، وقد أدرك النحاة قديما هذا الخاصية، وذكروها مع أنهم لم يؤلوا فيها كثيرا، وابن جنّي يستخدم التشكيل الصوتي في فهم بعض المعاني النحوية، يقول: "فقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: (سير عليه ليلٌ)، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لِما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحسُّ في كلام القائل لذلك من التطويح، والتطريح، والتفخيم، والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويلٌ أو نحو ذلك. وأنت تحسُّ هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا! فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، و إطالة الصوت بها، و(عليها)، أي رجلاً فاضلاً، أو شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكنَ الصوت بإنسان، وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً، أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته، ووصفته بالضيق، قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً أو لَحِزاً أو مبخَّلاً أو نحو ذلك. فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة. فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز"[١٣٠].

والتنغيم كما يعرفه محمود السعران: "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة (Pitch) الجهر (Voice) في الكلام"[١٣١].

فالمقطع اللفظي المنبور له وظيفة إبراز المعلومة الجديدة في الوحدة النغمية. وفي الحالات العادية غير الموسومة يؤدي المقطع اللفظي المنبور دور إبراز آخر كلمة في الوحدة النغمية التي تكون عادة الكلمة الرئيسة في الجزء الذي يحتوي على المعلومة الجديدة[١٣٢].

ويقول تمام حسان: " أي مقطع في المجموعة الكلامية، سواء كان في وسطها أو في آخرها، صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر ولكن الملاحظ أن المسافات بين كل حالتي نبر تبدو كأنها متساوية تقريبا وهذا ما نسميه الإيقاع فالتنغيم يكون بارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام وربما كان له وظيفة نحوية "[١٣٣].

فقد بات من الثابت ارتباط مفهومي -التصويت والإيقاع معا- منذ القديم بالمادة الدلالية المتوخاة -ابتداء من الحرف، إلى اللفظة المفردة، إلى التركيب البسيط، إلى الجملة المركبة، لذا رأينا اهتمام النحاة في مختلف العصور على الإفادة من النظام الصوتي للكلام؛ للتمييز بين المعاني النحوية.

وقد أفاد البارودي في ديوانه من هذه الخاصية؛ فاستخدم أسلوب الاستفهام من دون اللجوء إلى هذه الأداة في خمسة مواضع، متلوة بفعل، وباسم، ذاكرا المعادل الاستفهامي (أم) في أربعة، كما ياتي:

← أداة الاستفهام (Ø) +المستفهم عنه { = (ج.س)}، ومنه:

وأنجُمٌ تلـك أم فُرْسـانُ عادِيَـةٍ تختالُ في موكبٍ كالبحرِ مَسْجُورِ؟[١٣٤]

وقوله:

فتلـك لآلٍ، أمْ رَبيـعٌ تَفَتَّحَـتْ أزاهِرُهُ كالزُّهْرِ، أمْ نَظْمُ ناظِمِ؟[١٣٥]

← أداة الاستفهام (Ø) +المستفهم عنه { = (ج.ف)}، ومنه قوله من غير (أم):

تلومينني على عَبَـراتِ عَيْنِـي؟ ولولا الحُـبُّ لم تَجْـرِ المـآقي[١٣٦]

نلحظ في هذه التراكيب عدم وجود أداة استفهام، وهي (الهمزة) المرجحة في مثل هذه المواضع، أو (هل) كما يزعم الدارس، ولكن ما نلحظه أيضا أنه جرى زيادة نغمة صوتية صاعدة مصاحبة للتلفظ بالمقطع الأخير في كلمة (أنجمُ)، مع تحقيق النبر على المقطع قبل الأخير؛ لإفادة معنى الفرح والسرور، وليس لمعنى الاستفهام المجرد حسب. والأصل فيها "أأنجمُ ...؟"، وكذا الشأن بالنسبة للمركبات الأخرى؛ فأصلها التوليدي: "أفتلك ...؟"، و"أتلومينني ...؟" فتصبح النغمة في موقع الأداة –العلامة النحوية الدالة على الاستفهام– من حيث وظيفتها، والمعنى الذي تحمله.

ولعل التحويل بحذف أداة الاستفهام، وتعليق التركيب بالتنغيم المصاحب للاستفهام جاء في هذه التراكيب بوجود المعادل (أم)، وبعدم وجوده؛ لغايات التعجب، وإظهار مشاعر الفرح الغامر الذي يزهو به الشاعر، وهو يفضي بهذه التعبيرات على الرغم مما يمكن أن يقال في البيت الثالث حول لوم الحبيبة له بسبب هذا الدمع المسفوح؛ فكثيرا ما تطفح العيون بالدموع بسبب السعادة التي تهبط للقاء حبيب، أو تحقيق هدف نبيل.

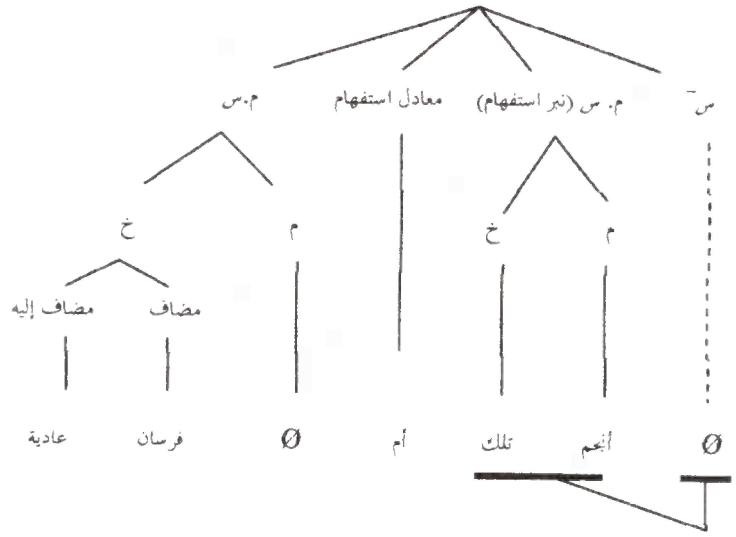

ونلحظ أيضا قِلَّة استعمال الاستفهام محذوف الأداة، إذ يبلغ (٩) مرات مما استعملت الأداة فيه، وهو (٥٤١) مرَّة، بنسبة = ١,٦٥٪، أو من مجموع استعمال تركيب الاستفهام، وهو (٥٦٩) استعمالاً، أي بنسبة = ١,٥٨٪.

ثانيا: الاستفهام غير المباشر

والشاعر هنا لا يستخدم أداة استفهام بعينها، ولا يقوم بحذفها، ولا يدل على عدم استخدامه إياها قرينة التنغيم، بل نراه يلجأ إلى استخدام لفظ السؤال من الفعل (سأل)؛ فمرة يستعمل الفعل الماضي، ومرة الفعل المضارع، مسندا إلى ضمير المتكلم مفردا أو جمعا، أو ضمير المخاطب مفردا أو جمعا، ومرة ثالثة يستعمل فعل الأمر مسندا إلى ضمير المخاطب، وهكذا، وقد ذكر البارودي هذه الصيغة في (١٩) موضعا، موزعة كما في الشكل:

فعل الأمر	الفعل المضارع	الفعل المضارع المجزوم	المجموع
٩	٤	٦	١٩

ومنه قوله مسندا فعل الأمر إلى ضمير المخاطب المفرد:

فسل المدائن فهي مَنْجَمُ عِبْـرَةٍ عمـا رأت من حاضر أو بادي[١٣٧]

أما الفعل المضارع فقد جاء مسندا إلى ضمير المتكلم المجموع، مثل:

نُسائِلُـهُ عَنْ شَأنِـهِ وهو صامِـتٌ ونَخْبُرُ ما في نَفْسِهِ وهو مُطْبَقُ[١٣٨]

ومن الفعل المضارع المجزوم ما جاء مسندا إلى ضمير المخاطب، حيث كرر اللفظ مرتين:

فلا تسألْ عـلى مـا كـان منـه ولا تسألْ على ما كـان مني[١٣٩]

ومنه قوله كذلك:

فـلا تَسْأَلَنِّي عَنْ هَـوايَ، فإنَّـني وَرَبِّكَ أدْرِي كيف زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ[١٤٠]

فالسؤال في هذه التراكيب يبدو ظاهريا أنه لم يقع، فلا حاجة إذن إلى جواب محدد، يطلقه المستمع (المخاطب)، وكبقية طرق الاستفهام التي سبق الحديث عنها، لم يكن الشاعر يقصد بأسئلته التي انسحبت على أغلب أدوات الاستفهام ينتظر تلقي جواب، فالشاعر على غير عادة المتكلمين في حوار واقعي، أو متخيل يقدم أسئلة ويتلقى أجوبة.

نلحظ قَلَّة استعمال الاستفهام غير المباشر، وهو ما يتم فيه استعمال لفظ السؤال، أو إحدى صيغه، حيث بلغت نسبة استعماله ٥٦٩/١٩= ٣,٣٪، وهي نسبة أكثر بقليل من التركيب محذوف الأداة.

النتائج

من نافلة القول أن نزعم أن تراكيب الاستفهام مهمة مثلها مثل الجملة الاسمية والفعلية، ومن الملاحظ في هذه الدراسة أن الشاعر في استعماله أدوات الاستفهام كان ملتزما ما قاله النحاة، غير أنه في بعض التراكيب بدا الأمر منحرفا عن القاعدة، مثل:

أولا: دخول (هل) على الاسم مع وجود الفعل في حيزها على رأي النحاة، يقول سيبويه: "لا يليها إلا الفعل، وإن وليها اسم فعلى التوسع"(١٤١)، يقول البارودي:

"**قالت: فهل دواءٌ يُسْتَطَبُّ بــه؟ قُلْتُ: الوِصالُ، فَراحَتْ، وهي تَبْتَسِمُ**"(١٤٢)

يصف سيبويه هذا الاستعمال بالقبح، إذ يقول: "فإن قلت: هل زيدا رأيت؟ وهل زيد ذهب؟ قبح، ولم يجز إلا في الشعر"(١٤٣)؛ ولعله يقصد الضرورة على رأي السيوطي الذي يقول: "إن هل إذا كان في حيزها فعل، وجب إيلاؤها إياه، فلا يقال: (هل زيد قام؟) إلا في الضرورة"(١٤٤). وقد استعمله الشاعر في الشعر -مثلما استعمله الناس في كلامهم.

ثانيا: ورود المعادل مع (أم) للتسوية في السؤال بـ(هل)، إذ منعه النحاة، يقول ابن هشام: "فيمتنع نحو (هل زيدا ضربت؟ ونحو (هل زيد قائم أم عمرو؟)(١٤٥)، وجاء في الكافية ما نصه: "ومنها أن الهمزة تستعمل مطردا مع (أم) للتسوية، ولا تستعمل(هل) معها إلا شاذا"(١٤٦). فهل كان استعماله هذا مجازفة لغوية منه؛ بحيث أقدم على تكرار هذا الاستعمال؛ لإفادة استفهام التصور الذي يمتنع مع الحرف (هل)؟ أكان الشاعر على علم بهذه القاعدة، ولم تثنه معرفته عن تأصيل الشاذ، وجعله قاعدة يسير عليها مَن بعده شأنه في هذا شأن نحاة الكوفة الذين كانوا مغرمين في بناء القاعدة النحوية على القليل، والشاذ حتى لو لم يعرف قائله مما استعمله العرب في كلامهم؟ أم أن التفعيلة والوزن الشعري حالا دون تكرارها مرة ثانية بعد (أم) المعادلة؟ أم أن سببا آخر يقف وراء هذا الاستعمال المتفرد علما أنه استعمل (أو) في بعض المواضع المشابهة كما ذكر في موضعه؟ المهم أن الشاعر (البارودي) المجدد ببعث الشعر العربي رمته من الرقاد، استعمل هذا الأسلوب الاستفهامي من دون تكرار (هل)، وهو أمر استهجنه النحاة العرب قديما؛ على الرغم من استعمال القدماء له في بعض المواضع، وكذلك الاستعمال السائد كما نلاحظ اليوم في كثير من كلامنا.

ثالثا: على حين أجاز النحاة حذف (الهمزة)[١٤٧]؛ لأنها تعرف من التنغيم المرافق لسياق الاستفهام بها، فقد منعوا حذف (هل)، والصحيح أنها تحذف إذا كان المقصود من السؤال بها التصديق، حيث تلتقي والهمزة في هذه النقطة، فالجملتان: (أقرأت الدرس؟)، و(هل قرأت الدرس؟) متماثلتان.

أما بقية الأدوات فيستفهم بهن عن معناهن الحقيقي الذي يتلبسهن كالسؤال عن العاقل، والزمان، والمكان، والحال، والسبب؛ فلذلك لا يجوز حذفهن إذ يصبحن جزءا من التركيب، تحمل كل أداة قدرة تحويل التركيب إلى الاستفهام، فضلا عن معناها، وكل أدوات الاستفهام كذلك تحمل كل منها معنى جديدا مترافقا مع معناها الأصلي، ويفهم كل ذلك من السياق، يقول السبكي: "إن معنى الاستفهام فيه موجود، وانضم إليه معنى آخر"[١٤٨]، وهو ما قاله ابن جني: "فلما كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عما هو عارفه ... جاز أن يجرد في بعض الأحوال ذلك الحرف لصريح ذلك المعنى"[١٤٩]. وذهب (جون ليونز) مذهبه، إذ يقول: "أعطني السياق الذي وضعت فيه الكلمة، وسوف أخبرك بمعناها، من المستحيل أن تعطي معنى كلمة بدون وضعها في سياق، وتكون المعاجم مفيدة بقدر ما تذكره من عدد سياقات الكلمات وتنوعها"[١٥٠].

رابعا: عدم تصدر أداة الاستفهام إذ تقبع في سياق الإخبار بحيث تأخذ دلالته. وإذ يقدر الباحث أن هناك تخريجات كثيرة يمكن اعتمادها في تسويغ مثل هذه التراكيب، يرى أن هذه المواضع لا تناقض تلك القواعد، بل إنها تقدم إضافة لا بأس بها.

خامسا: تصدر (هل) تركيبا منفيا، وهو ما لم يتفق مع قواعد النحاة، فهل يكون هذا جائزا في العربية على الرغم من رفضه قديما؟ على اعتبار أن شريحة اجتماعية كبيرة باتت تستعمله في المستوى الأدبي كما لاحظنا.

وأخيرا: إن طبيعة الموقف الاستفهامي تقتضي وجود طرفين أحدهما يلقي سؤالا يجهل المعرفة المتحتمة عليه، ولولا ذلك لما سأل، وطرف ثان متلق يجيب عن هذا السؤال. ولكن في خصوصية الموقف الشعري، هل يتحتم وجود هذين الطرفين؟ إن المتتبع لأقوال النحاة، وفائدة الصيغة الاستفهامية، وقيمتها البلاغية لا ينتظر أن يكون هناك مجيب، أو جواب مباشر؛ فالمستفهم، ولا سيما في الشعر، قد يخرج بسؤاله عن المعنى المحدد

للسؤال؛ ليضيف إلى تعبيره معاني أخرى، مثل: التقرير، والتوبيخ، والتعجب، والإنكار، والتهكم ...،[١٥١]، والموقف الشعري ذو خصوصية مختلفة، فهو مليء بالأحاسيس والمشاعر، والأفكار الذهنية الجياشة؛ لذلك نجد الشاعر قد اعتمد اعتمادا يكاد يكون شبه كامل على ذكر الأدوات في تراكيب الاستفهام، فإذا أسقطنا (٩) تسعة تراكيب لم تذكر فيها الأداة، و(١٩) تسعة عشر تركيبا اعتمد فيها على السؤال غير المباشر، نجد أن (٥٤١) تركيبا ذكرت فيها أدوات الاستفهام المختلفة، أي بنسبة (٩٥٪)، وهذا يدلل على أن الشاعر استثمر كثيرا الدلالات الأخرى المتضمنة في أدوات الاستفهام.

هوامش البحث

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فهم)، وانظر الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (فهم).

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥/٨.

(٣) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ٢٩٢.

(٤) تمام حسان، الأصول -دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ٣٥١.

(٥)السيوطي، الأشباه والنظائر، ٤/ ٥٦، وعلي الجرجاني، التعريفات، ١٧.

(٦) السكاكي، مفتاح العلوم، ١٣٢. و العلوي، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣/ ٢٨٧.

(٧) سيبويه، الكتاب، ٢/ ١٢٨، وابن هشام، مغني اللبيب، ٢١، والمرادي، الجنى الداني، ٩٧، وابن يعيش، شرح المفصل، ٨/ ١٥١، وابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ٣٦٩.

(٨) ابن هشام، أوضح المسالك، ٢/ ٢٤، والمرادي، الجنى الداني، ٣٨٤، والبغدادي، خزانة الأدب، ٤/ ٧٠.

(٩) سورة الانشراح، الآية: ١.

(١٠) سور: يوسف، الآية، ١٠٩، والحج، الآية، ٤٦، الآية، وغافر، الآية، ٨٢، ومحمد، الآية ١٠.

(١١) سورة البقرة، الآية، ٢٨.

(١٢) سورة التكوير، الآية، ٢٦.

(١٣) سيبويه، الكتاب، ١/ ٩٩، وابن هشام، مغني اللبيب، ١/ ١٤-١٦، والمرادي، الجنى الداني، ٣٠-٣٢.

(١٤) خليل عمايرة، في التحليل اللغوي -منهج وصفي تحليلي، ١٢.

(١٥) أحمد المتوكل، الجملة المركبة، ١٢٤ وما بعدها.

(١٦) ديوان البارودي، ٩٥.

(١٧) ديوان البارودي، ٦٥٠.

(١٨) ديوان البارودي، ٦١٣.

(١٩) ديوان البارودي، ٧٣.

(٢٠) ديوان البارودي، ٣٢٠.

(٢١) ديوان البارودي، ٩٥.

(٢٢) ديوان البارودي، ٦٥٠.

(٢٣) ابن هشام، أوضح المسالك، ٢/ ٢٤، والمرادي، الجنى الداني، ٣٨٤، والبغدادي، خزانة الأدب، ٤/ ٧٠.

(٢٤) سيبويه، الكتاب، ١/ ١٠١، وابن هشام، مغني اللبيب، ٣٣٩.

(٢٥) السيوطي، همع الهوامع، ٤/ ٣٩٣، والمرادي، الجنى الداني، ٣٤١، والهروي، الأزهية، ٢٠٨.

(٢٦) ابن هشام، مغني اللبيب، ٣٣٩.

(٢٧) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ١/ ١٣٣.

(٢٨) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح -شروح التلخيص، ٢/ ٢٧١.

(٢٩) ديوان البارودي ، ٢٠٠.

(٣٠) ديوان البارودي ، ٤٤٦.

(٣١) ديوان البارودي ، ٦٣٥.

(٣٢) ديوان البارودي ، ٢٠٠.

(٣٣) ابن هشام، مغني اللبيب، ١/ ٣٢٣، والسيوطي، همع الهوامع، ٢/ ٣٥، وابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٢/ ١٦.

(٣٤) ديوان البارودي، ٦٣٥.

(٣٥) ديوان البارودي، ٦٢٠.

(٣٦) ديوان البارودي، ٣٣٧.

(٣٧) أحمد المتوكل، الجملة المركبة، ١٢٠-١٢١. ومازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب، ٢٠٨، و ما بعدها. و ج.ب. براون، و ج. يول، تحليل الخطاب، ٢٧٧-٢٧٩.

(٣٨) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ١١٠.

(٣٩) ديوان البارودي، ٦١٢.

(٤٠) ابن هشام، مغني اللبيب، ٣٣٩.

(٤١) ابن هشام، مغني اللبيب، ٣٣٩.

(٤٢) ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، ٢٣٠، والسكاكي، مفتاح العلوم، ١٤٩،، وابن هشام، مغني اللبيب، ٢٩٤.

(٤٣) سيبويه، الكتاب، ١/ ١٢٧، ٤: ١٦٤، ٢٢٨.

(٤٤) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/ ٤٠٢.

(٤٥) أبو حيان النحوي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ١/ ١٢٢.

(٤٦) الفراء، معاني القرآن، ١/ ١٠٢، وأبو حيان النحوي، الارتشاف، ١/ ٥٤.

(٤٧) ابن الحاجب، الإيضاح، ١/ ٤٨٧.

(٤٨) الزجاجي، الجمل في النحو، ٣٦١.

(٤٩) رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية، ٢/ ٥٣.

(٥٠) المبرد، المقتضب، ٢/ ٢٩٦، ١/ ٤١، ٤٨. وابن السراج، الأصول في النحو، ٢/ ١٣٩.

(٥١) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٩٦، وانظر سيبويه، الكتاب، ٢/ ٤١٧.

(٥٢) مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب، ٢١.

(٥٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٩/ ٦٤.

(٥٤) الأنباري، الإنصاف، ١/ ٣٠١، وابن هشام، مغني اللبيب، ١/ ٢٩٨-٢٩٩، والبغدادي، خزانة الأدب، ٧/ ١٠٩-١١٠

(٥٥) ديوان البارودي، ٧٠٣.

(٥٦) ديوان البارودي، ٤٨٤.

(٥٧) ديوان البارودي، ٨٢.

(٦٨) ديوان البارودي، ٨٨.

(٥٩) ديوان البارودي، ٣١٦.

(٦٠) ديوان البارودي، ٥٧١.

(٦١) ديوان البارودي، ٤٩٥.

(٦٢) الأتَك: الذيل. ديوان البارودي، ٣٩٤.

(٦٣) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٢٢٨، والمبرد، المقتضب، ٢/ ٥٢، ٢٩٦، ٣: ٦٣، وابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٠، وابن السراج، الأصول، ٢/ ٣٦٠، وابن فارس، الصاحبي، ٢٧٤.

(٦٤) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٤١٣.

(٦٥) سيبويه، الكتاب ، ٢/ ٤١٣.

(٦٦) المبرد، المقتضب، ٢/ ٣٠٩.

(٦٧) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٤١٦، وابن هشام، مغني اللبيب، ١/ ٣٢٧.

(٦٨) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٤٠٨، وابن السراج، الأصول، ٢/ ٤١٨، وابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٥.

(٦٩) ديوان البارودي، ٥٦٢.

(٧٠) ديوان البارودي، ٩٣.

(٧١) ديوان البارودي، ٥٦٢.

(٧٢) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٠٥.

(٧٣) سورة البقرة، ٢٨.

(٧٤) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٠٨.

(٧٥) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٢٣٣، والمبرد، المقتضب، ٣/ ٢٨٩، وابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٠٩.

(٧٦) ابن السراج، الأصول في النحو، ٢/ ١٠٤.

(٧٧) ابن فارس، الصاحبي، ٢٤٣.

(٧٨) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٠٨.

(٧٩) الفيل، ١.

(٨٠) ابن هشام، مغني اللبيب ، ٢٠٩.

(٨١) ابن هشام، مغني اللبيب ، ٢٠٩، وسيبويه، الكتاب، ٤/ ٢٣٣.

(٨٢) سيبويه، الكتاب، ١/ ٤٣٥.

(٨٣) رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية، ٢/ ١١، ١٧.

(٨٤) الفراء، معاني القرآن، ١/ ٢٣، والزركشي، البرهان في علو القرآن، ٤/ ٣٣١.

(٨٥) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٢٣٢، والعلوي، الطراز، ٣/ ٢٨.

(٨٦) ديوان البارودي، ٨٤.

(٨٧) ديوان البارودي، ٥٧٦.

(٨٨) ديوان البارودي، ٦١٦.

(٨٩) ديوان البارودي، ٢٠٣

(٩٠) سيبويه، الكتاب، ١/ ٢٢٠، والمبرد، المقتضب، ٢/ ٥٣.

(٩١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٠٤، والجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، ١/ ١٣٤.

(٩٢) الزجاجي، حروف المعاني، ٣٤.

(٩٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٠٥.

(٩٤) ابن فارس، الصاحبي، ١٤٢، ٢٠١.

(٩٥) العلوي، الطراز، ٣/ ٢٨٨، والسكاكي، مفتاح العلوم، ١٥٠.

(٩٦) سورة الأنعام، أية، ٢٢.

(٩٧) ديوان البارودي، ٧١٦.

(٩٨) ديوان البارودي، ٦١٨.

(٩٩) ديوان البارودي، ٥٠٩.

(١٠٠) المبرد، المقتضب، ٢/٢٨٨، ٢٩٤.

(١٠١) ابن جني، المحتسب، ١/ ٢٦٨، ٢/ ٢٨٨. وابن يعيش، شرح المفصل، . والسيوطي، الأشباه والنظائر، ٢/ ٢١٥

(١٠٢) ابن الخشاب، المرتجل، ٢٧٢.

(١٠٣) ديوان البارودي، ٥٦١.

(١٠٤) ديوان البارودي، ٢٤٣.

(١٠٥) ابن هشام، مغني اللبيب، ٣٢٧.

(١٠٦) سورة البقرة، الآية، ٢١٤.

(١٠٧) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٠٤.

(١٠٨) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٢٣٥، ١/٢١٧.

(١٠٩) سورة، الأعراف، الآية، ١٨٧، وسورة النازعات، الآية، ٤٢.

(١١٠) رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية، ٢/ ١١٦.

(١١١) ابن فارس، الصاحبي، ٢٧٧.

(١١٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٧/ ٤٥.

(١١٣) رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية، ٢/ ١١٦.

(١١٤) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٢٣٥.

(١١٥) ديوان البارودي، ٥٧٤.

(١١٦) ديوان البارودي، ١٦٨.

(١١٧) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٢٣٥.

(١١٨) سورة البقرة، أية، ٢٥٩.

(١١٩) سورة، آل عمران، الآية، ٤٧.

(١٢٠) ابن فارس، الصاحبي، ١١٣. والرضي الأستراباذي، ٢/ ١١٦. والسيوطي، البرهان في علوم القرآن، ٤/ ٢٤٩. وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ٥٢٥. والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢/ ٣٩٧.

(١٢١) السكاكي، مفتاح العلوم، ١٥٠. والسبكي، عروس الأفراح، ٢/ ٢٨٩.

(١٢٢) ديوان البارودي، ٢٢١.

(١٢٣) ديوان البارودي، ٦٩٠.

(١٢٤) سيبويه، الكتاب، ٣/ ١٧٤-١٧٥. وابن يعيش، شرح المفصل، ٨/ ١٥٤-١٥٥. وابن هشام، مغني اللبيب، ٢١. والسيوطي، همع الهوامع، ٢/ ٦٩. وابن جني، المحتسب، ٢/ ٢٠٥، ٢٥٤، ٣٢٢.

(١٢٥) تمام حسان، اللغة العربية -معناها ومبناها، ٢٢٩ -٢٣٠. ومازن الوعر، نحو نظرية لسانية ....، ١٦٨.

(١٢٦) تشومسكي، البنى النحوية، ٩٥.

(١٢٧) ديوان عمر بن أبي ربيعة. وسيبويه، الكتاب، ١/ ٤٨٥. والمبرد، المقتضب، ٣/ ٣٩٤. وابن جني، المحتسب، ١/ ٥٠. وابن يعيش، شرح المفصل، ٨/ ١٥٤، وابن هشام، مغني اللبيب، ١٤، والسيوطي، همع الهوامع، ٢/ ١٣٢.

(١٢٨) ابن جني، الخصائص، ٢/ ٢٨١. والمحتسب، ١/ ٥٠. وابن هشام، مغني اللبيب، ٢١، والسيوطي، همع الهوامع، ١/ ١٩٥، ٢/ ٦٩.

(١٢٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ٦٠، سيبويه، الكتاب، ١/ ١٥٧. وابن جني، الخصائص، ٢/ ٢٨١. وابن يعيش، شرح المفصل، ١/ ١٢١. وابن هشام، مغني اللبيب، ٢١.

(١٣٠) ابن جني، الخصائص، ٢/ ٣٧٠- ٣٧١.

(١٣١) محمود السعران، علم اللغة -مقدمة للقارئ العربي، ١٥٩.

(١٣٢) ج.ب. براون، وج. يول، تحليل الخطاب ، ١٨٣-١٨٤.

(١٣٣) تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، ١٦٣، وما بعدها.

(١٣٤) ديوان البارودي، ٢١٢.

(١٣٥) ديوان البارودي، ٥٣١.

(١٣٦) ديوان البارودي، ٣٦٩.

(١٣٧) ديوان البارودي، ١٥٩.

(١٣٨) ديوان البارودي، ٣٨٢.

(١٣٩) ديوان البارودي، ٦٨١.

(١٤٠) ديوان البارودي، ٤٢٠.

(١٤١) سيبويه، الكتاب، ١/ ٩٨.

(١٤٢) ديوان البارودي، ٥٧٠.

(١٤٣) سيبويه، الكتاب، ١/ ٩٨.

(١٤٤) السيوطي، همع الهوامع، ٢/ ٧٧.

(١٤٥) ابن هشام، مغني اللبيب، ٣٣٩.

(١٤٦) رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية، ٢/ ٣٨٩.

(١٤٧) ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩-٢٠.

(١٤٨) السبكي، عروس الأفراح -شروح التلخيص، ٢/ ٣٠٦.

(١٤٩) ابن جني، الخصائص، ٢/ ٤٦٤-٤٦٥.

(١٥٠) Lyons, John: Introduction to Theoretical Linguistics,P.410، نقلا عن محمد حماسة عبد اللطيف، ظواهر نحوية في الشعر الحر، ١٢٩.

(١٥١) سيبويه، الكتاب، ١/ ٣٤٣، ٢/ ٣٠٦، ٣/ ١٧٠، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٦.

المصادر والمراجع

* ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، لا.ت.
* ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي نجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، لا.ط، القاهرة، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٩م.
* ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العقيلي، لا.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٢م.
* ابن الخشاب، المرتجل، تحقيق علي حيدر، لا.ط، لا.م، دمشق، ١٩٧٢م.
* ابن السراج، الأصول في النحو، عبد الحسين الفتلي، لا.ط، مطبعة النعمان، النجف، العراق، ١٩٧٣م.
* ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، د.ت.
* ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، طبع بيروت، لا.ط، ١٩٦٤م.
* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر السيد أحمد صقر، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م.
* ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
* ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، ط٥، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
* ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
* ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت ومكتبة المتنبي- القاهرة، لا.ط، لا.ت.
* أبو حيان النحوي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق مصطفى النحاس، ط١، مطبعة المدني، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩.
* أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، ط١، منشورات عكاظ، ١٩٨٧م.
* الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦١م.
* البارودي، محمود سامي، ديوان البارودي، حققه وضبط شرحه علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.
* البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب العرب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، لا.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، لا.ت.
* بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح -شروح التلخيص-، لا.ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، لا.ت.
* تمام حسان، الأصول -دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار الشؤون الثقافية العامة -العراق، لا.ط، ١٩٨٨م.
* تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، لا.ط، مطبعة الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٣م.
* تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠.
* ج.ب. براون، وج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، لا.ط، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
* الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، لا.ط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢م.

* الجرجاني، علي، التعريفات، لا.ط، لا.ن، بيروت، ١٩٦٩م.
* خليل عمايرة، في التحليل اللغوي -منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م.
* خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها -منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدة، السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
* رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، لا.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لا.ت.
* الزجاجي، أبو القاسم، الجمل في النحو، تحقيق ابن أبي شنب، ط٢، باريس، ١٩٥٧م.
وطبعة: تحقيق علي توفيق الحمد، لا.ط، دار الأمل، إربد، الأردن، ١٩٨٤م.
* الزجاجي، حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، لا.ط، دار الأمل، إربد، الأردن، ١٩٨٦م.
* الزركشي، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٥٧م.
* الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، بيروت، ١٩٩٧م.
* السعران، محمود، علم اللغة -مقدمة للقارئ العربي، ط٢،دار الفكر العربي،١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
* السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٧م.
* سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، لا.ط، المطبعة الأميرية، مصر، ١٩٦٦م، ١٩٧٧م.
* السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العربية، عني بتصحيحه محمد بدر النعساني، لا.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، لا.ت.
* السيوطي، الأشباه والنظائر، تحقيق عبد الرؤوف سعد، القاهرة، ١٩٧٥م.
* الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لا.ط، بيروت، ١٩٨٤م.
* عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، لا.ط، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٥م.
* عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، لا.ط، لا.ن، بيروت، ١٩٧٩.
* العلوي، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، لا.ط، لا.ن، مصر، ١٩١٤م.
* عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ط١، دار صادر، بيروت، إعادة الطبع ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
* الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد بن يوسف النجاتي، لا.ط، دار الكتب، مصر، ١٩٥٥م.
* القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة المثنى، بغداد،.
* مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م.
* المبرد، المقتضب،.تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، لا.ط، مؤسسة دار التحرير، مصر، ١٣٨٦هـ.
* محمد حماسة عبد اللطيف، ظواهر نحوية في الشعر الحر -دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور، ط١، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ١٩٩٠م.
* المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، المكتبة العربية حلب، ١٩٧٣، وتحقيق طه محسن، لا.ط، دار الكتاب للطباعة، الموصل، العراق، ١٩٧٦م.
* نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، سلسلة شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨.
* نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، ١٩٨٠.
* نوم جومسكي، البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.
* الهروي، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المنعم الملوحي، لا.ط، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩١هـ-١٩٧٣م.

فهرس الأشعار

رقم الصفحة		
	١- الهمزة	
٢٢،٢١	سمع الخليُّ تأوهي فتلفَّتا	وأصابه عجَب فقال: من الفتى؟
٢٦	وأين أبغي ناصرا	هيهات والخيرُ انطوى؟
	٢- الباء	
٣٣	ثم قالوا: تُحبُّها؟ قُلْتُ: بَهْرا	عددَ الرمل والحصى والتراب
٢٤	وكيف يصح بعد الغدر ودٌ	وتسلم نية بعد ارتياب؟
١٩	إذا ساء صنع المرء ساءت حياته	فما لصروف الدهر يوسعها سَبًّا؟
١٩	إلامَ يهفو بحلمك الطَّرَبُ؟	أبعد خمسين في الصِّبا أرَبُ؟
٩،٤	لَيْسَ في الحقِّ أنْ يَلْقَى النَّزيلُ بِكُمْ	أمْناً إذا خافَ أنْ يَنْتابَهُ العَطَبُ؟
٣٣	طَرِبْتُ وما شوقا إلى البيض أطْرَبُ	ولا لَعِبًا مني، وذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟
	٣- التاء	
٥	كُنْتُ مَطْبُوعاً على النُّطْقِ	فما هذا السُّكوت؟
٥	أيْنَ أمْلاكٌ لَهُم، في	كُلِّ أُفْقٍ مَلَكُوت؟
٥،٤	لَيْتَ شِعْرِي أهُمُودٌ	ما أرَاه أمْ قُنُوت؟
	٤- الدال	
٣٠	يا سعدُ قل لي فأنتَ أدرى	متى رعانُ العقيق تبدو؟
١٤	لم أدرِ هل خَطْبٌ أَلَمَّ بِساحَتِي	فأناخَ أمْ سَهْمٌ أصابَ سَوادِي؟
٣٦	فسل المدائن فهي مَنْجَمُ عِبْرَةٍ	عما رأت من حاضر أو بادي
	٥- الراء	
٢٨	وأيُّ حسامٍ لم تُصِبْهُ كَلالَةٌ؟	وأيُّ جوادٍ لم تَخُنْه الحوافِرُ؟
١١	بناظِرِكَ الفَتَّانِ أمَنْتُ بالسِّحْرِ	وهَل بَعْدَ إيمانِ الصَّبابَةِ من كُفْرِ؟
٣١	بلغتُ مجهودَ نفسي في الثناء ولم	أبلغ عُلاكَ، وأنَّى يُدْرَك القمرُ؟
٣٥	وأنجُمٌ تلك أم فُرْسانُ عادِيَةٍ	تختالُ في موكبٍ كالبحرِ مَسْجُورِ؟
٢٤	وكيف لا تبلغ الأفلاكَ دولةُ مَنْ	أضحى به العدلُ حِلاًّ غيرَ محظورِ؟
	٦- العين	
١٣	هذي الجزيرةُ فانْظُرْ هل ترى أحدا	يَنْأى به الخَوْفُ أو يَدنُو به الطَّمَعُ
١٩	ففيمَ اقتناء الدرعِ والسَّهْمُ نافذُ؟	وفيم ادِّخارُ المالِ والعُمْرُ ضائعُ؟
٨،٤	أتُرى الحَمامُ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي	ونَدى الغَمامَةِ يَسْتَهِلُّ لِمَدْمَعِي؟
	٧- القاف	
٣٥	تلوميني على عَبَراتِ عَيْنِي؟	ولولا الحُبُّ لم تَجْرِ المآقي
٣٦	نُسائِلُهُ عَنْ شَأنِهِ وهو صامِتٌ	ونَخْبُرُ ما في نَفْسِهِ وهو مُطْبَقُ

٨- الكاف

٢٠	ماذا على من بخلت نفسه	بالوصل لو قبَّلتُ طرف الأنَكْ؟

٩- اللام

١١	يا غاضبين علينا! هل إلى عِدَةٍ	بالوَصْلِ يومٌ أُناغي فيه إقْبالي؟
٣٦	فلا تَسْأَلَنِّي عَنْ هَوايَ، فإنَّني	وَرَبِّكَ أدْري كيف زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ؟
٢٧	أين أهلُ الدار، فانْظُرْ	هل ترى بالدار أهلا؟
٢٠	ماذا يضرُّكَ لو سمحتَ بنظرة	تحيا بها نفسٌ عليك تسيلُ؟

١٠- الميم

٢٤	فكيف احتيالي بين أمرين أشْكَلا	عليَّ فصارا شِقوة وغراما؟
٢٦	وأين من تملك الأحرارَ شيمتُه	والغدر في الناس داء غير منسجم؟
١٣	لم أدر: هل نَبَغَت في الأرض نابغةٌ	أم هذه شيمةُ الدنيا من القِدَم؟
٣٧	قالت: فهل دواءٌ يُسْتَطَبُّ به؟	قُلْتُ الوصالُ فَراحَتْ وهي تَبْتَسِمُ
٣٥	فتلك لآلٍ، أمْ رَبيعٌ تَفَتَّحَتْ	أزاهِرُهُ كالزُّهْرِ، أمْ نَظْمُ ناظِمِ؟
٣٠	متى ينقضي عمر الحياة؟ فتنقضي	مآربُ كانت عِلَّةً للمظالم

١١- النون

٧	فَيا مَنْ ظَنَّ بالأيَّامِ خَيْراً	رُوَيْدَكَ فَهْيَ أَقْرَبُ لِلحِرانِ
٧،٤	أَتَرْغَبُ في السَّلامَةِ وهْيَ داءٌ	وتَجْمَعُ للبَقاءِ وأَنْتَ فانِي؟
٣٣	بدا لي منها معصم حين جمَّرت	وكفٌّ خضيب زُيِّنت ببنان
٣٣	فوالله ما أدري وإن كنت داريا	بسبع رميت الجمر أم بثمان؟
٣١	أنَّى يفرُّ المرءُ من شَرَكِ الرَّدى	والموتُ مقدورٌ على الحَيَوانِ؟
١٢،١١	فهل تَرُدُّ اللَّيالي بَعْضَ ما سَلَبَتْ	أمْ هل تَعُودُ إلى أوْطانِها الظُّعُنُ
٣٦	فلا تسألْ على ما كان منه	ولا تسألْ على ما كان مني

١٢- الهاء

١٩	طورا تغني وأحيانا تنوح فما	ذاك الغناء وهذا النوح والوله؟
١٩	غَرَّني، ثم تَولَّى	ليت شِعري، ما بدا له؟
٢٤	ما كان أحْسَنَ عَهْدَهُ لَوْ دامَ لي	مِنْهُ الوِدادُ، وكَيْفَ لي بِدَوامِهِ؟
٦،٤	ظَنَنْتَ لَوْعَتَهُ فُكاهَةَ مازِحٍ	فَطَفِقْتَ تَعْذِلُهُ على تَهْيامِهِ؟
١٦	لم أدْرِ: هل ثابت إليه أناتُه	أم لم يَزَلْ في غَيِّه وهُيامِه؟
٢٢،٢١	ومَن يقود الزحوفَ راجفة	واليومُ بالحرب ساطعٌ قَتَمُه؟
٢٨	أي فتى للعظيم نَدْبُه	شاطَ على أنْصُلِ الرِّماحِ دَمُه؟
٢٠	إذا ما أقر المرءُ يوما بذنبه	فماذا الذي تُغني لَجاجةُ خصمه؟
٢٢	فمَن إلى مَلْجأ الضعيف إذا	أقبل ليلٌ وأطْبَقَت ظُلَمُه؟

فهرس الموضوعات

الموضوع

الرموز والمصطلحات المستعملة في البحث

الملخص: العربي والإنجليزي

التقديم

القسم الأول

أولا: معنى الاستفهام

ثانيا: الاستفهام عند الشاعر

ثالثا: الاستفهام مذكور الأداة

أ- حروف الاستفهام

١- الهمزة

٢- هل

ب- أسماء الاستفهام

١- ما

٢- من

٣- كيف

٤- أين

٥- أيّ

٦- متى

٧- أنّى

القسم الثاني

أولا: الاستفهام محذوف الأداة

ثانيا: الاستفهام غير المباشر

النتائج

المصادر والمراجع

فهرس الأشعار

Abstract

Transformational Structures in Interrogative Sentences in the Poetry of Mahmoud Sami Al Baroudi

Dr. Fareed Al Omari

This paper investigates the transformational structures employed by Mahmoud Sami Al Baroudi in his poetry. The researcher calculated, described and analyzed these structures. It was found that the use of these structures by Al Baroudi was in general agreement with what grammarians said in this respect, with very few differences. The findings of this study revealed that language use should be the criterion that determines grammaticality and acceptability if we want our language to be readily used, widely accepted, and free from complexities.

The paper was divided into two sections. The first section examined interrogative sentences with explicit question words; whereas the second one was devoted to interrogative sentences with implicit question words.

In this study, the researcher adopted an approach that integrated traditional approaches with modern linguistics research methods.